

كتاب اليوم

إحسان كمال

بمصدر عن مؤسسة اخبار اليوم

● العدد ٢٨٧ ● أكتوبر ١٩٨٨ ●



ممنوع
دخول الزوجات

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت اباظة

القاهرة

ونصيرنا الروائع الفخار

إحسان كمال العظم شروت أباظ 892736

مع محبة وودو نقسم
بدره ودمه

هـ



● العدد ٢٨٧ ● أكتوبر ١٩٨٨ ●

CA ALEXANDRINA

مطبعة الاسكندرية

كتب عربي
(أهداء)



DL

الغلاف : أسامه نجيب
الرسوم والماكيت : محمد عفت



إحسان كمال

- عضو مؤسس باتحاد الكتاب
- عضو جمعية الأدباء ونادى القصة
- نشرت أكثر من ١٨٥ قصة فى
- أغلب الجرائد والمجلات المصرية
- وبعض المجلات العربية .

● لها ست مجموعات قصصية « سجن أملكه » عن هيئة الكتاب عام ٦٠ « وسطر مغلوط » عن الهيئة أيضا عام ٧١ و « أحلام العمر كله » عن روايات الهلال عام ٧٦ و « الحب أبدا لا يموت » عن روايات الهلال عام ٨١ و « أقوى حب » عن كتاب اليوم عام ٨٢ و « لحن من السماء » عن هيئة الكتاب عام ٨٧ . ولها تحت الطبع مجموعتان « ضيفة الفجر » عن دار المعارف و « خبر بمليون جنيه » عن هيئة الكتاب .

- فازت فى مسابقات نادى القصة عامى ٥٧ و ٦٠
- أهداها المجلس الأعلى للفنون والآداب ميدالية عن أحسن قصص معركة أكتوبر المجيدة عام ٧٤ .
- ترجم العديد من قصصها إلى ست لغات عالمية « الانجليزية والفرنسية والروسية والسويدية والصينية والهولندية » .
- حولت عشرات من أعمالها إلى أفلام ومسلسلات وسهرات تليفزيونية .

● محتويات هذا الكتاب ●

٥	* طفلان يتناولان العشاء :
١٣	* مربعات السعادة :
٢٣	* الحفلة الكبرى :
٢٩	* ممنوع دخول الزوجات :
٣٩	* مع استعمال الرأفة :
٤٩	* إنهم يسرقون الحب :
٥٩	* أهلا بالبطل :
٧١	* باقة زهور مجهولة :
٧٩	* سحر الجمال :
٨٧	* هشام ٩٠ ٪ :
٩٧	* مطلوب على وجه السرعة :
١٠٣	* دين لم نستدنه :
١٠٩	* بالقلم والمسطرة :
١١٩	* موضوع فخريه فخري :
١٢٩	* الكوكب الذى انكسر :
١٣٩	* زهرة فوق القلب :
١٤٥	* الأول والأخير :



طفلان يتناولان العشاء

كان يتناول عشاءه وهو يبكى .. بدون صوت
كان العشاء عبارة عن رغيف من الخبز الناشف
رغيف حاف .. اللهم إلا إذا اغتبرنا الدموع التي
اختلطت به إداما ! ، أبدا ليس لنوعية الوجبة
رأخ يبكى .. لكنه كان يشعر بالاحباط والظلم ..
والمرارة ، الاولاد فى مثل سنه - بل واكبر بكثير -
يعيشون منعمين .. ينفق عليهم أهلوهـم ، بينما يضطر هو - ولم
يتعد التاسعة من عمره - أن يتكفل بنفسه .. يعمل ويكدح كى ياكل
ويعيش .. مع ذلك يجد المضايقات والمحاربة فى رزقه .. منتهى
الظلم .. ألم يكف القدر أن حرمه من العيش على كد والده .. فيبيعث
له اليوم من يحرمه - فى خبطة واحدة - من ثمرة كده هو طوال يوم
كامل .. بعد ان تعب وشقى وعانى ؟ ! ..
نعم يتعب كثيرا فى عمله .. ويعانى أكثر ، رغم ادعاء صديقه
رمضان بغير ذلك .. رمضان يعمل صبى ميكانيكى .. طوال اليوم
يعمل بيديه ويروح ويغدق على قدميه .. لذلك يحسده ويردد له
دائما :

— يا بختك يا صلاح .. عملك من أسهل ما يمكن .. بائع لعب ..
تضع بضاعتك على الرصيف وتجلس قبالتها دون أن تبذل أى جهد .
غير صحيح .. غير صحيح على الإطلاق .. صدق المثل القائل
« من يضع يده فى الماء لا يشعر بالآلم من يضع يده فى النار » ، ماذا
يعرف رمضان وبقيّة زملائه عن القلق المضنى الذى يشعر به بائع
صغير يحس دائما إنه مهدد من شرطة المرافق ؟ .. ولا عن اللهفة
التي تستبد به وهو يجمع بضاعته على عجل ويسرع بها فور ان

ينادى أحد الزملاء من بعيد « أبو شنب . أبو شنب » ، انه لا يدري .. لماذا تطارد الشرطة الباعة الجائلين ؟ .. وهل يا ترى تكون الحكومة أكثر سعادة لو نفّض هذا الجيش من الباعة أيديهم من بضاعتهم واشتغلوا بالنشل أو النصب أو التسول ؟؟ ..

رغم ذلك فمضايقات الحكومة تهون إلى جانب مضايقات الأهالي .. أو الزبائن أنفسهم .. فصال مرير .. وتقليل في اللعب بغير احتراس مما يعرضها للكسر ، وهو لا يستطيع الاعتراض خشية ان يفقد زبوناً ربما .. ربما اشترى ، لكن أغلبهم ينصرف دون شراء .. بعد ان يكون طفله قد اكتفى وشبع لعباً .. مجاناً ! ..

اليس غريباً اختيار صلاح لعب الأطفال لتكون بضاعته ؟ ولكن ..

اكان هو الذى اختارها ؟ .. كانت نفسه تخيم بالأسى عندما يرى ابا يشترى منه لعبة لطفله الصغير . وأساريره تنطق بسعادة تفوق سعادة الصغير نفسه بلعبته ! ، بل حتى من لا تشتري بعد ان تدع طفلهما يجرب اللعبة .. مؤكداً ان حبها لابنها لا يقل عن حب من اشترت . تدرك ان البائع ربما شتمها او نهرها عندما تترك اللعبة وتذهب للسير .. مع ذلك لا تهتم . مادام الطفل سيسعد . وفي سبيل هذه السعادة تضحي الأم بأى شيء . بالنقود عندما تشتري وبكرامتها عندما لا تستطيع الشراء ، أين امه وابوه من كل هذه المشاعر ؟ .

لم يكن يطلب لعباً ولا ملابس ثمينة او مأكولات غالية .. كل ما كان يطلبه هو الأمان بين أحضانها .. الحد الأدنى لاحتياجات أى طفل . حتى هذا بخلا به عليه . انفصلاً ليضيع بينهما .. او بدونهما ، ما أكثر ما أحس كأنه جاء إلى هذه الدنيا بلا دعوة .. فلم يكن فى محيطه من يحتاجه .. او يريد .

وحتى لو كانت امه متعبة .. أما كان موسع والده ان يحاول احتواء مشاكلهما لأجل طفله ؟ وحتى لو كان أبوه قاسياً .. أما كان

واجبا حتميا على أمه ان تروض نفسها على تحمله من أجل فلذة كبدها .. كما تفعل جميع الأمهات على وجه الأرض .. عداها ؟ ، فضلت راحة أعصابها .. ملقية بكل شيء - بما في ذلك طفلها - عند مواطئ قدميها ، لماذا على حظه فقط وضعت كرامتها في المقام الأول .. في حين أنها الآن - ويا سبحان الله - تتحمل من زوجها الجديد أضعاف أضعاف ما رفضته من أبيه ، لماذا التعلل أصابها هكذا فجأة ؟ .. كم مرة رآها - في الشهور القليلة التي قضاها معها - تبكي بدموع حارة .. فما تكاد تحس بحضور زوجها حتى تسرع بتجفيف دموعها .. بل وتبادر برسم ابتسامة واسعة على وجهها كله !! .

نفس الشيء أيضا بالنسبة لأبيه ، عندما ضاق به زوج أمه وطرده .. كان من الطبيعي أن يذهب للإقامة في منزل والده ، حيث رأى هناك العجب .. الزوجة الجديدة تغلظ لزوجها في القول .. وتملى أراقتها عليه وتتحكم في كل كبيرة وصغيرة في المنزل .. وفي حياته ، وأبوه يتحمل كل ذلك دون حتى أن يتذمر ! ، وهو هو نفسه الذي طلق والدته على أمور اتفه من هذه بكثير ، وكان حتما أن يأتي الدور على صلاح كي يكون موضوع شجار وخلاف بينهما : — يغادر المنزل فورا .. وجوده يثير أعصابي .. كما العقلة في زورى !

وقال رجل البيت « المهيب » :

— سلامتك .. ألف سلامة ، اسمع يا ولد .. أمك بك أولى !
وقال صلاح في نفسه « لا أم ولا أب .. لأدعهما في سعادتهما .. ولابحث لنفسي عن السعادة »

هل حقا هو الذى اختار البعد عنهما ؟ .. لا يظن .. لم تعند ظروفه أبدا أن تنتظر موافقته .. وإنما دائما تتجمع ضده فلا تترك له إلا الانزعان ، لجأ إلى بعض الأقارب .. ثم الاصدقاء ، مضى ينتقل

بين بيوت هؤلاء وأولئك كأنه حطام مركب غريق تتقاذفه الأمواج .
حتى استقرت به الأمور أخيرا بعد سلسلة من التنقلات مع
« حلاوة » .. قريب من بعيد يستأجر غرفة واسعة مفروشة بأثاث
بسيط في ربيع قديم .. وافق أن يؤويه معه على أن يدفع نصف إيجار
الغرفة ، كما عرفه بالمعلم الذي قبل أن يعطيه بعض اللعب البدائية
ليبيعها مقابل نسبة من الربح ..

ومع كل هذا العناء والمناهدة مع الزبائن .. لم يكن ربحه يزيد
عن حوالى جنيهين يوميا .. بل وأحيانا كان يهبط إلى جنيه ونصف
جنيه فقط ، أهم شيء عنده أن يدفع نصف جنيه لصاحبة الربع
التي لا تقبل أبدا التأجيل للغد .. من لا يدفع ولو لليلة واحدة يطرد
من غرفته ليبيت في العراء ، ثم نصف جنيه آخر للجمعية التي
يقبضها كل بضعة أشهر ليكتسى منها أو ينفق على بعض شئونه ..
وباقى مكسبه اليومي لوجبة العشاء .

يظل طوال اليوم لا يدخل جوفه سوى ساندوتشين أو ثلاثة من
الفول والطعمية .. إلى جانب باكو أو اثنين من البسكوت أو قرطاس
من الفول السوداني ، لذلك وجب أن تكون وجبة العشاء دسمة ..
وليمة ! ، يشترك مع حلاوة وبعض الغلمان من سكان الربع
ويحضرون ساندويتشات الكبدة أو الكفتة .. مع أكياس الطرشي
وبعض الفاكهة ، وعلى قدر ما يتبقى معه كل ليلة بعد الإيجار
والجمعية يكون عدد الساندويتشات الموعودة ، قال له حلاوة
يوما :

— لولا هذه الأكلة المغذية لما استطعنا أن نصلب طولنا ونقوم
بأعمالنا المرهقة طوال اليوم التالى .. فهى البنزين الذى به
نسير ! ..

الليلة ولا نقطة بنزين واحدة تدخل جوفه .. بل حتى الجمعية لم
يدفعها .. وكاد يقبل يد المعلمة حتى قبلت تأجيل قسط الجمعية

للغد ، مع ان اليوم من اوله كان يبشر بالرخاء .. قبل ان ينتصف
النهار كان قد باع خمس عشرة لعبة ، مكسبه في اللعبة الواحدة
عشرة قروش . قبل المغرب بقليل قدر ان هذا يكفى اليوم .. وان
عليه القيام بجمع ما تبقى من بضاعته ليرحل .. لكن .. قبل ان ينفذ
ما قرر .. انشقت الأرض عنه فجأة .. شرطى طويل عريض كثر
الشارب .. صرخ فيه صرخة مدوية .
— قفشتك !! ..

أسرع صلاح يجمع بضاعته فى محاولة للهروب بها بعيدا .. لكن
الشرطى يمسك بتلابيبه مؤكدا ان القانون يقضى بمصادرة البضاعة
جميعا . صلاح يصاب بالذعر ويروح يتوسل ويبكى ويستعطف
الشاويش بكل عزيز وغال .. الدقائق تمر ولا أمل يلوح فى عفو
الشرطى .. القلق ينساب فى نفس البائع الصغير كما جسد ثعبان
أملس .. فيزيد من جرعة التوسلات للشاويش الغضنفر .. لكن
الاخير يرفض بكل آباء وشمم ، بعد فترة طويلة امسك باحدى اللعب
هتف صلاح :

— ثمنها جنيهان .. سأعطيكها لك بجنيه ونصف جنيه ..
وكان الرد ركلة من حذاء الشرطى الميرى فى جنبه وهو يردد :
— ما عندكش دم صحيح !!

أخذ اللعبة ومضى دون ان يدفع فيها شيئا . جمع صلاح باقى
لعبه وقام وهو لا يصدق نفسه بالسلامة . وهو يدفع للمعلم ثمن
اللعب المبيعة اضطر طبعاً ان يدفع ثمن لعبة الشرطى من مكسبه
الخاص .. خشنى أن يقول له عما حدث فيرفض بعد ذلك تزويده بأية
بضاعة على زعم ان خيبته وعدم نصاحته يمكن أن تتسببا فى ضياع
اللعب كلها ..

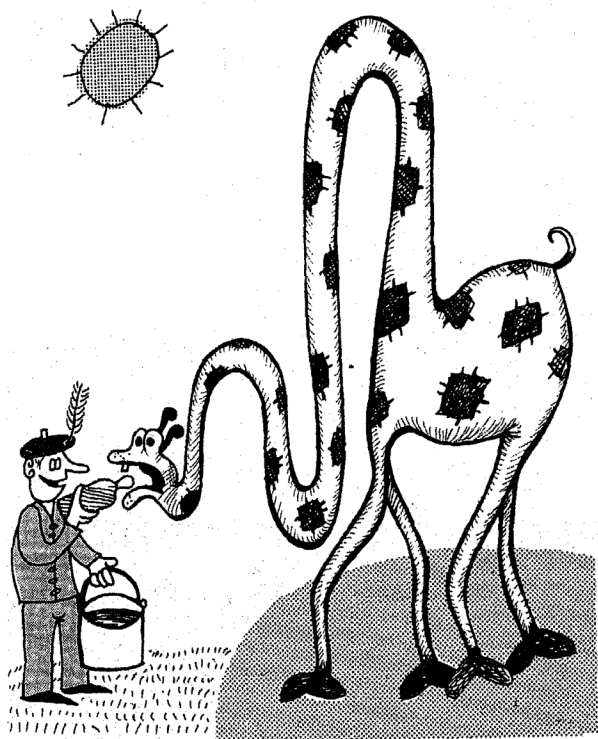
الباقى من مكسبه كان خمسين قرشاً بالتمام والكمال .. أعطاها
لصاحبة الملك حتى لايفتح على نفسه أبواب جحيم غضبها ، وفى

الموعد المعهود بالضبط ظهر حلاوة :

— هه .. كم ساندوتش كبة تريد اليوم على العشاء ؟ ..
رد بغمغمة لا تكاد تبين وهو ياوى إلى فراشه ويتدثر بالغطاء :
— بطنى يؤلمنى الليلة .. ولن أستطيع تناول أى شىء ! .. لكنه
بعد انصراف حلاوة لا يستطيع النوم .. الجوع ينهشه بقسوة ، يقوم
من فراشه ويبحث فى أرجاء الغرفة .. وسط العديد من الأوراق
وعيدان الجرجير الذابلة وبعض النفايات الأخرى .. التى تخلفت
عن عشاء الليلة الماضية ، حتى يعثر أخيرا على شىء يصلح ،
يبكى فى صمت .. كان العشاء عبارة عن رغيف من الخبز الناشف ..
رغيف حاف .. اللهم إلا إذا اعتبرنا الدموع التى اختلطت به إداما ..
فى نفس الوقت - وفى الطرف الآخر من المدينة الواسعة
الارحاء - كان هناك طفل آخر .. فى مثل سن صلاح تقريبا هو
صالح .. ابن الشرطى الطويل العريض كثر الشارب ، أعجبه
اللعبة التى حملها له أبوه - بعد ان اغتصبها ظلما وعدوانا -
اعجابا لاحد له .. وسعد بها أيما سعادة .. حتى إنه رفض أن يتركها
حين بدأ يتناول عشاءه فجلس إلى المائدة وهو يحتضنها ، مضى
يأكل والفرحة العارمة تملأ كافة أرجاء قلبه الصغير ! .



مربعات السعادة



لم تكن مهامه تستغرق منه وقتا كبيرا ، ينتهى
منها سريعا ليجلس أمام القفص يتأمل فيها
حوله .. وعندئذ لا يستطيع أن يتمالك نفسه من
قول كلمته التى لا يمل ترديدها .. يقولها وهو
يخبط كفا بكف .. لبعض زملائه حيناً ولنفسه فى
أغلب الأحيان :

— سبحان مقسم الأرزاق .. يعطى من يشاء ويمنع عن يشاء ..
بغير حساب !

فعلا المهنة واحدة .. حارس فى حديقة الحيوان .. لكن شتان بين
رزق الواحد منهم ورزق الآخر . فترة الغذاء بالنسبة لحيوانات
الحديقة .. كم هى فترة سعيدة للبعض وكم هى شاقة للبعض
الآخر ، أسعد الكل حقا حراس سيد قشطة وسبع البحر والفيل
والزراف .. غذاء هذه الحيوانات تصرفه الحديقة مثل باقى
الحيوانات .. لكن حراسها يتصرفون فيه كأنهم اشتروه من مالهم
الخاص .. حتى لا يقدموه لأكلية إلا إذا قبضوا ثمنه .. اضعافا
مضاعفة !! ..

طبعا الحيوانات لاتدفع ، المتفرجون أو أطفالهم ، ويالها من
سعادة تشتمل الجميع .. حتى الحيوان .. فهو يأكل والطفل أسعد
الجميع قطعاً عندما يمسك بيده الصغيرة قطعة من البطاطة ليقذفها
فى فم سيد قشطة الواسع .. أو سمكة يطوحها فى الهواء ليتلقاها
سبع البحر بمهارة بهلوانية ، أو حزمة من البرسيم الجاف يقدمها
للفيل الذى يتناولها منه بللومه ، أو جزرة يلقمها للزرافة العملاقة
رغم ارتفاعها الهائل .. تحنى رقبتها حتى تصل لمستوى

الطفل الصغير ثم تتناول منه الجزرة . ها هو ذا الطفل الذى لايعرف بعد كيف يطعم نفسه - وإنما تقوم ماما أو دادة عنه بذلك - يتولى هو الآن بدوره اطعام هذه الحيوانات الضخمة .. فيالها من سعادة !!

تلك السعادة التى تتلألأ نورا وسناء فى أعين الأب والأم فيفتحان كيسيهما ويغدقان على الحارس الهمام . أو الضلع الأخير من المربع .. مربع السعادة التى تلف الجميع بعباءتها الفضفاضة ، من يأكل ومن يقدم الأكل وهو يصفق جذلا .. من يدفع .. ومن يقبض وهو ينحنى بالتحية ! ..

أين هو من كل ذلك المولد ؟ كان المفروض أن يكون ملك الحراس .. أليس هو حارس الأسد . ملك الغابة ، مع ذلك فلاسعادة ولا تصفيق ومرح وقهقهة .. ولا تحيات ولا - وهو الأهم - ولا شلنات تنهال عليه من كل جانب حتى ليضطر لأن يفتح ذراعيه عن آخرهما كي يجمعها ! ..

لكم تمنى كثيرا لو نقلوه لحراسة أحد الحيوانات الأخرى .. الداخلة .. أو على الأصح المكونة لمربعات السعادة ، بل طلب ذلك من رئيسه فعلا .. أكثر من مرة لكن الأخير كان دائما يرفض . من الأهمية بمكان صلة الألفة بين الحيوان وحارسه .. وكما بدا واضحا كان الأسد يالف عويس جدا .. بل ويحبه ، وليس من السهل تدريب حارس آخر على عادات الأسد وطباعه وطريقة معاملته .. أيضا ليس مضمونا - حتى لو قام بكل ذلك التدريب لحارس جديد - أن يحبه الأسد بمثل قدر حبه لحارسه الأثير عويس !، وكان هذا يردد لنفسه :

— يافرحة قلبى بحب الأسد .. ذلك الحب العقيم الخاوى
الوفاض !

الحقيقة مرة .. ولذلك يحاول الناس أحيانا أن يغطوا مراتها ببعض اللطافات ، أما وهو يحدث نفسه فلا ضرورة ولاداعى لآى

تطليف أو تزويق .. المال هو كل شيء فى هذه الدنيا ، هناك من يقول الصحة أو هناء الببال أو الحب حسنا .. فالمال - فى أحيان كثيرة - يأتى بكل ذلك ! ..

وماذا يفعل مرتبه فى هذه الأيام العصيبة ؟ . يكفى الضروريات فقط .. وبالتالي ينبغى على أطفاله أن يشطبوا من قاموسهم جميع أسماء اللعب والحلوى والملاهى ، وزوجته .. عليها أن تنسى تماما أن هناك أشياء تدعى حليا أو أقمشة مستوردة إلخ .. ترى هل فعلوا ذلك حقا أم تظاهروا به أمامه فقط ؟ . لايدرى .. وكل الذى يدريه أنه هو نفسه لم يستطع أبدا أن يخرج الدراجة البخارية من دائرة أحلامه .. كما فعل بالنسبة لأشياء كثيرة كأطياب الطعام وثمان الملبس وغيره وغيره ..

استطاع أن يسكت شوقه إلى كل هذه الأشياء بل أن يبعدها كثيرا عن إطار تفكيره ، لكنه فشل تماما بالنسبة للدراجة البخارية ، تكاد عيناه تخرجان من مجريهما خلف كل واحدة منها تسير - بل تجرى بهذه السرعة الهائلة على الطريق ، فى المرات القلائل التى استعار فيها دراجة من أحد معارفه ليركبها فترة وجيزة .. كان يخيل إليه أنه يمتلك بساط الريح المسحور ، وهو يمسك مقابضها فيحس كما لو كان يقبض على أعنة السحاب ! ..

بيد أن تطلعه إليها لم يكن إرضاء لهواية ومتعة يشعر بها أثناء قيادتها وحسب .. لكن لمصلحة وحاجة أيضا ، فما أشد عناءه وعذابه فى الانتقال من منزله فى المطرية .. إلى مكان عمله بحديقة الحيوان فى الجيزة ، لذلك كانت رغبته تتأصل عنده وتمتد جذورها .. ويشتعل أوارها فى نفسه مرتين فى كل يوم ! ..

— أه لو امتلكت واحدة ؟ ..

يقولها وهو ينزع نفسه من دفء فراشه فى عز حلاوة الرقاد قبل السادسة صباحا حتى يلحق بعمله فى الثامنة ، ويقولها كلما ألمته

ساقاه من طوال الوقوف انتظارا لاتوبيس خطه اليتيم ، ويقولها
أيضا بعد الركوب محشورا وسط عشرات الأجساد حتى لتكاد
انفاسه أن تزهق .. لدرجة أنه فضل في إحدى المرات أن يتعلق
بالسلم لكنه أصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار .. حيث كاد لشدة
الم يده القابضة على الماسورة أن يفلتها فيسقط ! ، ويقولها حين
تبدى زوجته رغبتها في الخروج مساء لزيارة بعض الأقارب
أو للسینما .. لكنه لا يستطيع لشدة تعبهِ في رحلة العودة من عمله
أن يرد عليها .حتى .بالرفض ! ..

× × ×

لقد فكر في كل الطرق التي رأى معارفه يتبعونها لزيادة
دخلهم .. لكنه لم يكن يملك مالا يتاجر به .. ولا وقت فراغ اطلاقا
يمكن ان يعمل فيه عملا اضافيا ، صحيح أن أغلب ساعات نهاره
فراغ .. إلا أنه مرتبط بالبقاء في الحديقة حتى غروب الشمس ، فأى
عمل إضافي يستطيع القيام به داخل الحديقة ؟ ! ..
في الجرائد .. قرأ الكثير عن الدخول الطفيلية التي حققها
البعض .. لكن مع الأسف .. لم يكن أى منهم يعمل حارسا في حديقة
الحيوان .. حتى يحتذى به ، فإن .. لم يكن أمامه سوى فكرته
القديمة .. التي ما فتئت تلح عليه حتى تشبع بها ، لم يكن من عادة
أى حارس سابق للأسد أن يجعل الأطفال يطعمونه .. لكن ماذا
لو بدأ هو ريادة هذا الطريق ؟ ماذا لو أعمل فكرة قليلا ليزلل بعض
الصعاب التي بعدها يصبح المستحيل أو الشاذ ممكنا ومقبولاً ؟ .
وبدا يهدم لفكرته ، لم يكن الأسد ليقبل على طعامه إلا إذا أعطى
إليه مرة واحدة .. وعلى شكل كتلة ضخمة واحدة .. في مكان منزو ،
فأخذ يمنع عنه الطعام فترات طويلة ليشعر بالجوع .. ثم يقذف
اليه بقطع صغيرة من خارج القفص .. أهملها الأسد ازدياء في أول
الأمر ، حتى إذا ازداد جوعه بدأ يلتقطها ويلتهمها ! ، وهكذا بشيء

من التدريب والصبر روض عويس الأسد على أن يأكل على طريقة
القردة والنسانيس !! ..

ثم بدأ يجذب الأطفال .. ويغريهم على إطعام الأسد .. لكن ليس
مقابل قرشين أو خمسة .. بل عشرة قروش كاملة !، ليس الناس فقط
مقامات .. الحيوانات أيضا .. والحيوان هذه المرة هو الأسد .. ملك
الغابة ، واطعامه عملية مثيرة .. جريئة .. وغير تقليدية ..

وتكررت العملية عدة مرات فى ذلك اليوم .. وتكرر اليوم بدوره
مرات ومرات .. حتى اكتمل الشهر .. وبعدها تكررت الشهور أيضا ..
وهكذا انضم عويس إلى الحراس الذين يشتركون فى تكوين
مربعات السعادة .. بل كان مربعه هو بالذات .. أطرف هذه
المربعات وأكثرها بهجة ! ..

بمرور الأيام أصبحت العملية أسهل . بل بدأ يدخل عليها بعض
الاضافات والتحسينات والمشوقات .. كان يرفع الطفل يده بقطعة
اللحم إلى أعلى فيقف الأسد على قدميه الخلفيتين ، إلى غير ذلك من
الحركات ، فى أول الأمر كان متخوفا .. حتى إنه فى نهاية كل يوم كان
يتمتم لنفسه بعد أن يحمد الله كثيرا .
— لم يحدث ما يكدر .. حتى الآن .. فماذا ياترى عن
المستقبل ؟ ..

لكنه بمضى الأسابيع الأولى على خير بدأ يهدد مخاوفه :
— ما دمت قد استطعت أن أجعل الأسد يستانس بعض الشيء
هكذا .. فإنه قطعاً سيكرر « دائماً » .. وعلى طول الخط .. نفس
حركاته وتصرفاته مع الأطفال الذين يطعمونه ، بحكم الترويض
والتعود .. حيث المعروف عن كافة الحيوانات أنها إذا اعتادت على
نمط أو سلوك معين ظلت بعد ذلك تمارسه وتسير على منهاجه طوال
حياتها ..

مع ذلك فإن جزءا صغيرا داخل نفسه ظل على هواجسه ورفض ان يطمئن .. رفض ان يقتنع ، بل راح يحاوره ويصحح له بعض الفاظه فيرفع كلمة « دائما » ويضع مكانها كلمة « غالبا » نعم ليس دائما .. كان فى حساباته باستمرار انه قد يأتى يوم ويغدر الأسد بدون أسباب .. أو لأسباب لا يعرفها مخلوق ، طول الوقت كان على باله ما فعله أسد السيرك مع مدربه « الحلو » ، رغم طول العشرة والألفة .. وبعد تكرار الحركات مئات المرات .. ولسبب لم ولن يستطيع أحد أن يفهمه .. وثب عليه وافترسه !

وهل ينسى أحد مظاهرات القاهرة من أعوام ؟ ، تلك التى أطلق عليها البعض انتفاضة شعبية .. وقال آخرون .. بل غوغاء وحرامية ، أسرع عويس يومها ليطمئن على شقيقته بنزلة السمان .. ويا لهول ما رأى .. لو أن زلزالا وقع بحديقته فتكسرت الأقفاص وخرجت الحيوانات المتوحشة .. لما فعلت بالبلد ما فعله الصبية الأبرياء يومها ، تحت أى منطلق يخضع تفسير تحطيم الأهالى - الذين يشكون أزمة المواصلات - لسيارات الأتوبيس ؟ وإشارات المرور .. ماذا فعلت لهم ؟ وحتى الجمعيات الاستهلاكية الخ الخ .. رغم كل وساوسه هذه لم يستطع إلا أن يمضى فى طريقه .. وأنه قرر بينه وبين نفسه أن يصفى هذا العمل نهائيا بعد أن يكتمل له منه مبلغ ثلاثمائة جنيه .. يشتري بها دراجته البخارية الموعودة .. ذلك أنه كان قد أخذ على نفسه عهدا ألا يقرب قرشا من هذه النقود .. مهما كانت الاحتياجات أو المغريات ، غير أن سحابة ظلمت يوما سماء أحلامه .. وإن مرت سريعا ، عثرت زوجته فى ذلك اليوم على الكيس الذى يحتفظ فيه بكنزه ، وفى الحال قدمت له قائمة تحوى العديد من الطلبات .. كلها هامة .. وعاجلة .. ولا تقبل التأجيل أو الإرجاء !

لكنه كان حازما ، لم يجازف كل تلك المجازفة كى تأتى هي آخر الأمر - وبمنتهى السهولة - لتبعثر نقوده ذات اليمين وذات اليسار ، ولم يكن من السهل كبح جماحها .. رغم أن والدها عودها على ذلك ، يذكر جيدا الفترة التى كان يشتري لها فيها جهاز عرسها .. حيث كانت كلما طلبت منه أشياء اضافية صرخ فيها :

— هل تظنيننى اغترف النقود من فوق التل ؟.. اننى استخرج القرش من بين انياب الأسد !!

ضحك وهو يتذكر هذه الجملة .. التى أصبحت لكثرة ما ردها حموه من كلماته الماثورة ، رغم مبالغته الواضحة ، كان تاجرا .. كل يوم برزق جديد ، أى لم يكن فى الأمر انياب أسد أو حتى انياب قطرة ! .. هو يستطيع أن يردد هذه الجملة دون أن يكون مبالغا .. بل وسيكون الأسد حقيقة لا مجازا ..

عموما هي كلمة ولا محل للمناقشة .. هذه النقود من أجل هدف سام ، لقد قرر ذلك ولن يتزحزح عن قراره قيد انملة .. ولتحشد كل أسانيدها .. ولتصرخ ما وسعها الصراخ .. فهي تصرخ فى واد .. شديد الاتساع ! ..

وأخيرا .. أخيرا جدا . اكتمل المبلغ ، وذهب إلى المحل الذى سيحصل منه على أمنية عمره ، بيد أنه لم يجد لديه واحدة جاهزة بالمواصفات التى يطلبها ، ووعده صاحب المحل بأنه لن يمضى اسبوع أو اسبوعان إلا ويكون قد دبر له طلبه .

لكنه لم ينفذ عهده مع نفسه .. لم يستطع انهاء العملية التى قطع فيها شوطا طويلا .. عملية اطعام الأطفال للأسد ، للمال اغراء والنفس نادرا ما تقنع أو تكتفى .. أم أن أضلاع مربع السعادة كانت جد محكمة حتى صعب عليه الانسحاب منها ؟

لم يكن الاسبوع الأول من المهلة التى طلبها صاحب محل الدرجات قد انقضى ، حتى وقعت الواقعة .. فى لحظة خاطفة

كومض 'البرق' ، ملك الغابة .. الذى سبق وتناول طعامه من أيدي
مئات الاطفال .. ثارت كرامته يوما لهذا الهوان الذى انحدر إليه ..
وكان احتجاجا عمليا .. أليس الأسد .. ملك الغابة ؟ . التهم مع
قطعة اللحم نصف كف الطفل الذى كان يقدمها إليه '
نفس الصورة التى طالما طافت بخيال عويس .. عشرات المرات ،
فى النوم واليقظة .. وكان يكفى أن يهز رأسه أو يطرف بعينه حتى
تختفى ، هذه المرة لم تفعل .. هز رأسه ودعك عينيه .. قرص خده
عدة مرات .. لكن الصورة كما هى .. الدماء تملأ الأرض أمام
القفص .. والصرخات تتعالى تخترق رأسه .. الناس تتجمع ..
اللغط والهرج والمرج .. فى حين راحت أعماقه تتساقط فى انهيارات
يكاد سمعها يصل لأذنيه .

عندما نطق وكيل النائب العام الجملة التى أنهى بها تحقيقه
معه :

— يفرج عن الحارس عويس عبد الله شديد بكفالة قدرها ثلاثمائة
جنيه .. دهش هذا الأخير .. هل كان الوكيل يعلم بالضبط مقدار
ما يملكه ؟! ، حين وضع لأول مرة فى قفص الاتهام .. راح يدير عينيه
فى الحاضرين بذهول وقد بدوا له وكأن وجوههم قد تحولت إلى
تماثيل شمعية متجمدة ، فجأة بدأ يضحك بشدة وسط بهشة
الموجودين ، الذين لم يستطيعوا قط معرفة سبب هذه الضحكات ،
وكيف كان يمكن أن يصل تفكير أحد إلى أنه كان يقارن فى دخيلته
بين مربع الحديد الذى يحيط به « قفص الاتهام » وبين مربعات
السعادة .. التى تحققت له أخيرا بعد أن ظل يحلم بها طويلا ؟ .



الحفلة الكبرى

صوت فرقة دوى فى الغابة .. أسرع جموع
من مختلف الحيوانات صوب الصوت لتتبين
سببه ، وجدوا شجرة ضخمة مقتلعة من
الأرض .. وقفوا مندهشين .. كيف يمكن أن تقع
مثل هذه الشجرة ؟ قال أحدهم :

— لا شك عاصفة الأمس رُزععتها ..

فجأة صرخ قرد نقود !!! ..

نظروا حيث أشار ليجدوا حقيبة كبيرة انخلع غطاؤها وظهرت بداخلها رزم من الأوراق المالية .. على ما يبدو أن لص خزانة أخفاها تحت هذه الشجرة حتى يخرج من السجن أو يتمكن من الهرب . قال أكثر من حيوان « ما معنى نقود هذه » رد القرد :

— انها شيء مهم جدا عند الانسان .. لقد شاهدت منذ ربع ساعة فقط رجلا يمسك بمسدسه في وجه رجل آخر وهو يقول له « إعطني النقود بيديك بدل أن أخذها من جيب جئتك » ..

سال حيوان آخر : يا إلهي .. تعنى أنه كان على استعداد لقتل زميل له من أجل هذه الأوراق ؟

وقال حيوان ثالث : إنها إذن لتكون شيئا بالغ الأهمية .

وقال حيوان رابع : لبتنا نعرف فيم يستخدمها الإنسان . ربما استفدنا منها نحن أيضا ..

تساءل حيوان سادس : أين ذهب ذلك الإنسان بعد أن أخذ تلك الأوراق من زميله .

رد القرد : ركب سيارته وسار من هذا الاتجاه ..

— إذن فلنحاول اللحاق به لنرى ماذا يصنع .

انطلقت من الغابة قبيلة من الحيوانات تسير في الاتجاه الذي أشار إليه القرد .. مقتفية أثر السيارة التي يركبها ذلك الانسان ، كانت القبيلة خليطا من أنواع متنافرة من الحيوانات .. مكونة من مجموعات من العجول والأرانب والذئاب والحمير .. واللبؤات والثعالب والبغال والبيغاوات .. والتبوس والقروود والثيران والطواويس .. والخنازير والنمور والحيات الناعمة الملمس .. وغيرها وغيرها ، لم يكن صعبا على هذه الحيوانات ان تلحق بالانسان وتتعبه حتى وصل إلى فندق من أفخم فنادق المدينة .

امام شباك فى المدخل اخرج بعض النقود وقدمها لانسان آخر
يجلس إلى مكتب أنيق .. ليتناول منه بدلا عنها عدة أوراق أخرى ..
خرج بها سعيدا ، وتتبادل الحيوانات النظرات فيما بينها بدهشة ..
اخيرا تقدم إحد الببغاوات من الإنسان الأنيق وسأله :
— ماذا أخذ هذا الانسان مقابل النقود التى أعطاه لك ؟
— لقد أخذ تذاكر يحضر بها هو واصدقاؤه الحفلة الكبرى .
حفلة رأس السنة ..

— وهل حفلة رأس السنة هذه جميلة ؟ ..
— جدا .. إنها ليلة بالف ليلة وليلة ! ..
— وكم ثمن التذكرة ؟
— مائة جنيه .
— إذن اعطنا مائة تذكرة لنا جميعا ..
— اسف .. لا اعتقد ان إدارة الفندق سترحب بدخول
الحيوانات .

تداولت الحيوانات فيما بينها قليلا ليعاود الببغاء الحديث :
— سندفع لك ثلاثمائة جنيه ثمنا للتذكرة .. فما رأيك ؟
كاد الموظف يقفز من مكانه فرحا وأسرع إلى المدير يزف له
البشرى السارة .. لكن المدير يحتد عليه :
— هل جئنت حتى تدخل الحيوانات إلى الفندق ؟ .. بينما أنا
لا اسمح حتى لأى إنسان عادى بالدخول ، وإنما تختار اعلامهم مكانة
وأرقامهم تصرفا وافرهم احتراماً .. وأكثرهم أناقة وتحضراً ! ...
— لكنى اقطع التذكرة لأى إنسان يدفع دون أن أسأله أية
معلومات عنه أو .
وقاطعه : بالطبع ولكن .. هل تعلم لماذا رفعنا ثمن التذكرة إلى
مائة جنيه ؟ .

— طبعا لارتفاع أسعار المأكولات والخدمات والهدايا
— كل هذا حقيقى فعلا لكن الأهم هو أننى بهذا أجدد مستوى
الذين يحضرون دون أية أسئلة أو استعلامات فمن يدفع مثل هذا
المبلغ لابد انه من عليه القوم المرموقين .
نظر الموظف الشاب إلى مديره بانبهار فقال الأخير متفائرا :
— هذا هو الفرق بين تخطيطات الفندقية الحديثة التى تعلمناها
فى معاهد متخصصة وبين الفندقية القديمة .. أى كلام !!
عاد عامل التذاكر إلى الحيوانات معذرا ، فبدأت تنسحب من
الفندق وقد بدت على وجوها إمارات الإحباط وخيبة الأمل .
عقارب الساعة تجرى خلف بعضها .. مرة أخرى يتغلب الليل ..
دار الصراع المحتوم .. ولم يطل .. خر النهار صريعا .. ومازالت
العقارب تجرى .. الساعة تدق العاشرة .. وقف مدير الفندق بجوار
قاطع التذاكر .. وراح يشير براسه تجاه الوافدين وكأنه يقول له
« رأيت صدق نظريتى ؟ » فعلا كان المتوافدون على المكان نخبة
من أرقى نجوم المجتمع .. يرتدون أفخر بذلات وفساتين السهرة ..
وقد تحلت النساء ببروشات الماس .. والجميع يتصرفون بطريقة
هى مزيج من أعلى حضارات القرن العشرين وشهامة العصور
الوسطى ، الرجال يخلعون عن مرافقاتهم كابات الفراء .. ثم
يقدمونها للوصفاء المعينين . بعدها يسرعون إلى الموائد
فيسحبون الكراسي لتجلس السيدات أولا .. كلماتهم زقزقة
عصافير .. وبسماتهم تفتح أزهار .. ورقصاتهم تمايل أغصان !! ..
ويبدأ السقاة فى توزيع ذلك السائل الأصفر الساحر على
الموجودين .. ترى ماذا يفعل السائل بالناس من أعاجيب ؟ وتمر
ساعة أخرى .. فينتهى المدير من عملياته الحسابية لتلك الليلة ..
ويبدأ يشعر بالجوع .. عندئذ يتذكر تلك المائدة المحجوزة له
بالقاعة الكبرى ..

يفتح المدير بالباب فيفاجأ بالرواد فى حالة صخب فضليعة .. يتخاطفون الماكولات - خاصة قطع اللحم - بأصابعهم .. بل ويمدون تلك الأصابع إلى لحم آخر .. حى ! ، بينما يضحك الجميع ضحكات غليظة .. وهم يقذفون بعضهم البعض بالكرات وأدوات المائدة و .. بذىء الكلمات ، حتى ساد القاعة كلها جو بشع من الصراخ والعريضة والعرى والمجون الهستيرى .. بشع .. بشع .. بشع ! ! اسرع المدير ينسحب من القاعة ويغلق الباب من خلفه .. ثم اتجه نائرا إلى عامل التذاكر وصرخ فيه :

— استعد غدا للمثول أمام لجنة تحقيق . أبعد كافة تحذيراتى لك .. تنفذ فكرتك المجنونة بإدخال كل تلك الحيوانات إلى الحفل ؟؟ ، ومما يزيد المصيبة أن بعضا منها حيوانات متوحشة !! العامل المسكين الذى كان النوم قد بدأ يغالبه يصاب بالذهول .. فلا يستطيع الكلام .. وعندما يجد صوته أخيرا يكون المدير قد غادره فبدا وكأنه يحدث نفسه :

— أنا ؟؟ .. أدخلت حيوانات ؟؟ . أنا ؟؟ .. لكننى لم أدخل أية حيوانات على الإطلاق !! ..

كان المدير بدوره يسير وهو يحدث نفسه :
— اللغز الذى لا استطيع فهمه هو كيف دخلت الحيوانات دون أن أراها رغم قرب مكتبى من القاعة ! ..
فى نفس اللحظة كانت قبيلة الحيوانات قد عادت إلى مكانها بالغابة ، تساءل الثور :

— هل معنى ذلك أننا لن نستطيع الاستفادة من هذه النقود على الإطلاق ؟؟

رد الثعلب : بل سنستفيد .. ألا ترون الليلة شديدة البرودة ؟ .. وإذن فبإمكاننا أن نوقد فيها النار فتمنحنا شيئا من الدفء ..

هَلُّ الباقون استحسانا للفكرة .. ومن ثم خبط القرد زلطين
وأشعل النار في الأوراق المالية . التفت باقي الحيوانات حولها في
حلقة واسعة .. ومضت تستدفيء وهي في غاية من السكون
والهدوء ، في حين راح القمر يتالق فوقها .. كما بروش من الماس
على كتف فستان سهرة من المخمل الأسود .

★ ★ ★

منوع دخول الزوجات



ما كان ينبغي أن تكون صدمتها مروعة لهذه
الدرجة ، ماذا كانت تتوقع إذن ؟ ، أن تمضى
سفينة حياتهما فى بحر هادئ رقيق ؟ ، كيف وقد
أساءت اختيار السفينة .. وأيضا المجرى الذى
تبحر فيه ؟ ، كانت البداية خاطئة .. فلا بد إذن أن
تكون النهاية من نفس النوع .

تتعدد الأسباب فى حالات اختيار الفتاة - أية فتاة - لشريك
حياتها .. تبعا لاهتماماتها ، منهم من ترجح الحب .. وغيرها اليسر
المادى .. أو المكانة الاجتماعية .. أو الاخلاق والأصل الطيب ..
أو .. أو .. لكن .. هل سمع أحد فى الدنيا كلها عن فتاة تختار
شريكها من قبيل العناد ؟ تدافع عن نفسها :
— لم أكن فى حالة عادية .. كنت أمر بفترة يأس قاتلة ! .. لكن
ضميرها يواصل اتهاماته :

— وأنت بنفسك التى خطوت إلى هذه الحالة وأغلقت من خلفك
الأبواب .. حتى لا يلحق بك أحد ممن حاولوا الأخذ بيدك .. كافة
الأبواب .. عقلك وضميرك وأذنك !..

كفت عن الاستمرار فى الهروب .. حيث الطريق طويل ، إن أطول
طريق للهروب هو ما يجريه الانسان بعيدا عن نفسه ، لا مفر من
المواجهة .. الحقائق عنيدة .. مثل الصخور الصلدة .

فعلا لم تكن أول فتاة يتزوج والدها بعد وفاة أمها ، وقد تأسى
أية فتاة تجد نفسها فى هذه الظروف .. لكن ثورة الهام كانت
عارمة .. مضت تصرخ :

— كان المفروض أن يظل وفيا لذكرى من وهبته كل حياتها حتى
الثمالة .. كان المفروض أن يضحى من أجل وحيدته فيكرس لها
ما بقى من سنوات عمره .. الكثيرون يفعلون هذا ..

حاول خالها أن يهدئ من غضبها :

— لكل شخص ظروفه .. ربما هو لا يستطيع تقبل جفاف الحياة
دون شريك .. ربما بسبب طبيعة عمله لا يستطيع أن يدير أمور
المنزل .. ربما بسبب تدينه لا يريد الوقوع فى الخطأ ..
لكنها أبدا لم تقتنع .. من أول يوم ناصبت زوجته - بل ناصبته
هو نفسه - العداء ، دائما حزينة باكية من أجل أن تستعدى ضميره
عليه وتحمله إحساس الشعور بالذنب ، لا يكاد يمر شهر واحد دون
أن تترك المنزل إلى بيت خالتها لفترة قد تطول اسبوعا .. واجيانا
اسبوعين .

الوالد المسكين ظل على حلمه معها .. فلم يقس أو حتى
يخشوشن فى معاملته أياها ، قدر ظروفها رغم أنها لم تقدر ظروفه ..
تخيل أنه بذلك يقنعها عمليا بعظم عاطفته تجاهها .. وأنها مازالت
الاثيرة لديه ، كان مقتنعا ان الأمر الواقع سيفرض نفسه آخر الأمر ..
وأن غضبها لأبد سينقشع وثورتها لأبد ستخمد مع الأيام .. كل
ثورة وإى غضب ، لكن الشهور تمر حتى تكمل العامين وهى على
نفس حالها .. رغم رقة تصرفاته معها .. أو ربما بسبب هذه الرقة .
بل وصل الأمر لدرجة اتهامه أنه بهذا الزواج قد تسبب فى تشتيت
ذهنها من الاستذكار .. فكانت نتيجتها هذه المتواضعة فى الثانوية
العامة .. من ثم رفضت كافة الحلول التى طرحها عليها .. أن تدخل
أحد المعاهد العالية أو أن تعيد امتحان الثانوية العامة الخ . قررت
أن تذهب إلى السودان وتلتحق بفرع الجامعة فى الخرطوم . حاول
أن يثنىها عن عزمها بأنه سيفتقدها وأنه لا يستطيع على بعادها
صبرا .. لكنها أصرت على رأيها .. مكثفة بالرد على حججه بنظرة

«سأختره جعلته يغض بصره !، أكدت له ان بعدها عن « الواقع »
الذى يثير الأسى والمرارة ربما يساعدها على ان تتفرغ للمذاكرة ،
عندها لم يجد مناصا من الموافقة .. بل شد الرجال معها إلى هناك
لمساعدتها فى تقديم الأوراق وتسهيل الاجراءات .. مؤكداً لها انه لن
يعود إلى القاهرة إلا بعد ان يطمئن انها بدأت الدراسة بالفعل ..
وانتظمت فيها .. فيما بعد قالت لوالدها :

— كما ترى كان لابد ان أسافر إلى الخرطوم .. والا فإين كنت
سالتقى بزاهر .. ذلك الشاب الذى قدرت لى الأقدار أن ارتبط به ؟!
هكذا هى .. تتصرف برأيها غير ملقية بالا إلى نصائح
أو توجيهات أحد .. وبعدها تلقى تبعة اختياراتها على الأقدار ، فى
الخرطوم التقت بزاهر اذن .. فى النادى الرياضى .. ليلقى شبابه
حولها من أول يوم .. كعادته كلما رأى فتاة حسناء وهو لم يكن يبذل
فى ذلك أى جهد .. أغلب الفتيات كن يدخلن شبابه من قبل ان
يلقيها .. وسيم جدا ، بل فائن .. إذا جاز ان يطلق هذا الوصف على
رجل ! ، شديد الجاذبية .. التى ربما كان اكتسابه أياها نتاج امتزاج
خفة الدم السودانية .. ممثلة فى والده .. بالجمال الانجليزى ..
الذى امتلكت منه والدته القدر الكبير ..

وبدا يتابعها .. فى النادى .. فى الفندق .. فى التليفون ، خجل
سنها المبكرة يحول دول تجاوبها فيتقدم طالبا يدها ، دهش الوالد ..
لكنه استمهلها حتى يرد عليه ، مجرد حركة مجاملة .. لا يليق أن
يقول له مباشرة .. انت مرفوض ، مرفوض بكل المقاييس ..
والسبب ؟ ، عشرون سببا وسبب ، البنات صغيرة جدا .. لم تكمل
التاسعة عشرة . أى تصغره بستة عشر عاما ؛ عدا انها لم تلتحق
بعد بالجامعة .. فطبعا يخشى ان يصرفها الزواج عن الدراسة ،
كذلك فإن فترة تعارفهما ضئيلة .. لا تكفى للحكم على مشاعر أى
منهما ، أيضا فالسمعة التى يلوکها الناس عن تنقله من زهرة إلى

زهرة لاتشجع على قبوله ، ثم انها وحيدته .. فكيف يزوجه بعيدا عنه ؟، لكن الهام تقبل الخطبة .. وتصر عليها ، قالت له فى مواجهته :

— لم أكن موافقة على زواجك .. فهل عملت برأىي ؟ ..

ثم اضافت لزوجة صديق له يعمل بالتدريس هناك :

— السبب الاخير لرفض أبى هو السبب الاول لموافقتي !،
الا يدري أن زواجه حرمنى منه .. ولو بالفكر ؟ .. إذن لابد ان اتزوج بعيدا عن مصر حتى احرمه منى بالفعل !.
ذهلت الصديقة :

— تسوقين العناد إذن ؟ ..

لم ترد الهام فعادت الأخرى تردف :

— هذا أغرب سبب زواج سمعته فى حياتى .

مثل كل مرة .. ومثل كل أمر .. اعترض الأب .. وناقش .. وساق الحجج والأسانيد . احتد ثم دلل .. ثم ثار .. ثم ترفق لكن شيئا من كل ذلك .. لم يجد فتىلا !.

أقيم حفل الزفاف الأنيق فى أجمل فنادق العاصمة السودانية ، وبعد أيام عاد الأب إلى القاهرة .. وحده ، قال لزوجه .
— ذهبت معها إلى الخرطوم كى أدخلها الجامعة ولكنى أدخلتها فى عصمة العريس ! ..

كان يتكلم بسخرية .. لكنها كانت سخرية مريرة ، هونت عليه زوجته :

— فى كلتا الحالتين كنت ستتركها هناك .. بعيدة عنك ، الآن المفروض ان تكون أكثر اطمئنانا عليها وهى فى رعاية زوجها وحمايتها عنها لو كانت فى المدينة الجامعية .

زفر : فى الجامعة كنت ساصير نفسى انها فترة وتنقضى ثم تعود إلى مصر . أيضا فإن أكثر ما يقلقنى خشيتى ان تترك الدراسة ..

— آوه يا حامد .. لا تشغل نفسك بدون داع .. هذا غير معقول
طبعا بعد ان التحقت بالكلية التي كانت ترغبها .

لكن ما خشاه الاستاذ حامد تحقق في اقل من سنة ، تركت الهام
الكلية نهائيا واكتفت بأن تكون زوجة متفرغة للثرى الأمل زاهرة ..
وليبتها كانت زوجة سعيدة . دائما خطاباتها لوالدها تمتلىء
بالشكوى .. من انشغال زاهر عنها بأملاكه . ودراساته .. وأيضا من
تحكم حمايتها في كل كبيرة وصغيرة في حياتها .. حتى جاءت
« نرمين » .. الحفيدة الأولى لحامد ، بكى وهو يقلب الصور :

— بعد ولادة الهام تمنيت ان يرزقنى الله بأخ أو باخت لها ..
لكنها كانت أحلام .. بددتها الايام ، من ثم حولت امنيتى إلى حفيد
أو حفيدة .. وهاهى ذى تأتى ولكن .. بعيدا بعيدا ..

لم يعد يرى الهام أكثر من مرتين فى العام ، مرة فى الشتاء عندما
يسافر هو إليها .. والأخرى فى الصيف عندما تحضر مع زوجها
وحمايتها للقاهرة ، هو معذور فى قلة الزيارات .. صحته لم تعد
تساعده .. مضى العمر ولم تبق إلا فلوله ، ولكن ماذا عن الهام ؟ ..
تراها مازالت نائمة على زيجته الثانية ، لكنها تفاجئته عند زيارته
الأخيرة لها .. ألقت برأسها على كتفه وانفجرت تبكى :

— أخطأت كثيرا فى حقك يا أبى .. لكنى اطمع فى عفوك .
كنت صغيرة السن قليلة التجارب ، اننى نادمة على كل تصرفاتى
التي كنت أعاندك بها .. كلها كلها عدا شيء واحد .. زواجى من
زاهر ، حيث أصبحت أحبه .. أحبه لدرجة لا يتصورها أحد ، اننى
الآن أراه كل العالم .. عالمى أنا على الأقل ، هذه المشاعر العاطفية
الرقيقة .. وأيضا مشاعر الأمومة العذبة - وكلها جديدة على .
غيرت نظرتى للحياة ، بل أعادت صياغتي انسانية جديدة ، من
حق كل انسان ان يحب ويحب .. كان من حقك تماما ان تتزوج ..
كيف كنت ستعيش وحيدا بعد ان تتقدم فى العمر واتزوج أنا ؟

اننى سعيدة ان غضبتى وثورتى لم تنجح فى ان تجعلك تعدل
عن مشروعك .. كان ذلك حريا بان يجعلنى الآن فى منتهى الالم
والعذاب .. وأيضا إحساس الشعور بالذنب .. الذى ربما حطم
نفسيتى وبدد السعادة والبهجة كلية من حياتى !

بدون أن يدري يجد الاستاذ حامد نفسه يبكى هو الآخر .. لمتزوج
دموعهما معا ، حلم طويلا بهذه اللحظة . منذ بداية زواجه وتعقد
المشكلة وهو يتوقع .. ثم يتمنى حدوثها .. تأخر تحقيقها كثيرا ،
لكن حمدا لله .. أخيرا آتت ..

وهو يهنئ زاهر لحصوله على الماجستير .. أقترح عليه ان
يحضر إلى القاهرة لعمل رسالة الدكتوراه لكن والدة زاهر تضحك
ساخرة :

— معقول ؟ .. يترك جامعات لندن ليذهب إلى القاهرة ؟ ! ..
وقد كان .. انتقل الركب بأكمله إلى لندن ، لكن ماتكاد تمضى
عليهم شهور هناك إلا وترحل الأم ، وكأنها كانت تحس بالقترب
منيتها فصممت على السفر إلى انجلترا لتموت فى بلدها ، عندما
سمع الاستاذ حامد بالنبا خبط كفا بكف وهو يقول فى أسف :
— ترى لو أن سفر الهام وزوجها تأخر بضعة شهور .. لما بعد
وفاة مسز عثمان .. أكان زاهر يستجيب لاقتراحى ويكمل دراسته فى
القاهرة ؟ .. وتحاول زوجته التهوين عليه .

— لا أحد يستطيع ان يجزم بالضبط ، لكن لو حتى كان الرد
بالإيجاب فقد انتهى الأمر .

تنهد : نعم سامحها الله .. زرعت ابنتى فى لندن .. ثم رحلت .
رغم صقيع لندن إلا أن الخطابات التى ظل الاستاذ حامد يتلقاها
منها كانت تتسم بالدفء ، تعودت الهام ان تكتب اليه بكل ما يحدث
لها يوما بيوم .. وكأنه معها كتبت إليه عن انتقالها وزوجها للإقامة
فى شقة أنيقة . يتقاسمانها مع مبعوث مصرى آخر وزوجته .. التى

سرعان ما ارتاحت إليها وتألقت معها .. وكأنها أخت شقيقة ..
مما خفف عنها ضجرها لانشغال زاهر عنها بدراسته ..
فى أول العام الجديد كتب حامد لابنته يهنئها .. ويلفت نظرها
الى ان موعد زيارته السنوية لها بالطبع سوف يتغير .. بتغير مكان
اقامتها .. لتصبح صيفية :

— ومن الآن حتى يحل شهر يونيو .. اكتبى لى بكافة طلباتك ..
كى اصطحبها معى حين آتى إليك بإذن الله ..

لكن قبل أول زيارة له وقعت الواقعة ، ذات يوم خرجت الهام مع
اعتدال - شريكتهما فى المسكن - كى تشتريا بعض الملابس الشتوية
من شارع اكسفورد .. الذى يبعد عن حيهما بمسافة طويلة ، وإذا
بالأمطار تفاجئتهما قبل ان يركبا المترو الذاهب إلى هناك .. فتقرران
العودة .. وتاجيل الشراء ليوم آخر ، أمام باب المنزل يتصدى لهما
البواب .. معلنا إياهما ان أوامر « السيدين » تقضى بعدم السماح
لأحد بالدخول وتحتج اعتدال :

— نعرف هذه الأوامر .. حيث هما يريدان الاستذكار .. لكن
المقصود بهذه الأوامر طبعاً الزوار .. خشية تعطيلهما .
وصرخت الهام : اجننت ؟ ..

نحن زوجتا السيدين .. أنت حقا جديد فى عملك هنا .. لكنك
بالتأكيد رأيتنا أمس وتعرفنا جيدا .
ويرد البواب نافذ الصبر :

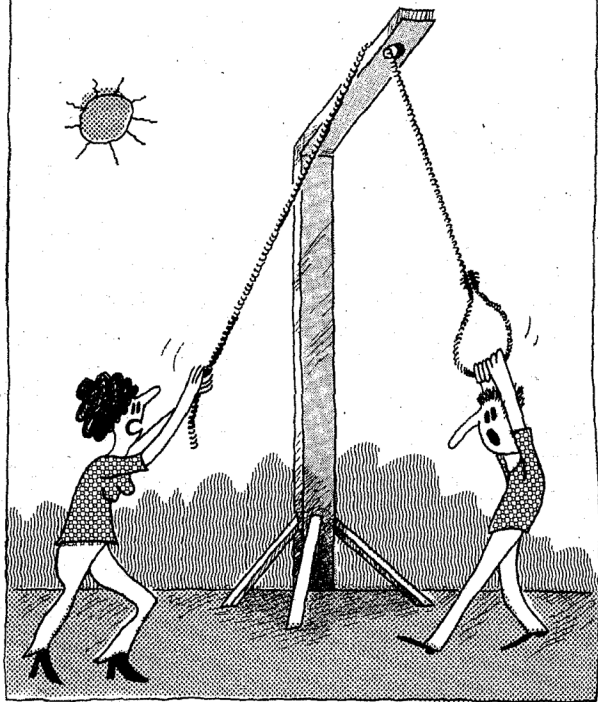
— بالطبع أعرفكما .. لكن الأوامر كانت صريحة .. « ممنوع
دخول أى إنسان .. وبالأذات الزوجتين .. لمدة ثلاث ساعات .
تبادل الهام واعتدال النظرات فى دهشة .. تتحول إلى ذهول .
ثم غضب .. وأخيرا إلى ثورة وتهدهده .. إذا لم يفتح لهما ستبلغان
البوليس ، اسقط فى يد البواب فلا يجد مفرا من فتح الباب .
وتدخلان مندفعتين .. لتجدا الشقة وقد تحولت إلى مأجور حقير .

الزوجان المبجلان في حالة تبذل .. ومعهما فتاة ليل رخيصة .. من
أدنى مستوى . لاتساوى قلابة ظفر أى منهما !
في الطائرة المسافرة إلى القاهرة .. بدا الذهول في نفس الهام
يخلى مكانه لشعور الأسى المرير .. لذلك مضت تناجي نفسها :
— ما كان ينبغي أن تكون صدمتي مروعة لهذه الدرجة .. ماذا
كنت اتوقع إذن ؟ أن تمضى سفينة حياتنا في بحر هادئ رقيق ؟ ..
كيف وقد اسأت اختيار السفينة .. وأيضا المجرى الذي تبحر فيه .
كانت البداية خاطئة .. فحتمًا أن تكون النهاية — كما حدث بالضبط —
من نفس النوع :



مع استعمال الرافعة ..

BEFFAT
©



قالت فجأة : طلقنى .. يا سعيد .
بهت : ماذا تقولين ؟ !
اكدت : ما سمعته .. طلقنى ! ..
قال بذهول : هل جننت ؟ وحبنا الكبير ..
الطويل العريض .. القوى العميق ؟ .
— من أجل هذا الحب الذى تسهب فى
وصفه .. أريدك أن تطلقنى .. لا أود لك أن تضار بسببى ، ويكفى
ما نالك حتى الآن ..
— لكنك بريئة يا نوال ..
ردت بصوت مشبع بقطرات الأسى المرة المذاق :
— بل يبدو اننى كنت غبية ! .
صاح باستنكار .
— ماذا ؟ .. هل أنت نادمة على موقفك ؟ !
أيقظتها صيحته فعادت تتماسك وتهتف بلهجة ملؤها الاصرار
والتحدى :
— اطلاقا .. ولو عادت عقارب الساعة إلى الوراء ما تصرفت
بغير ما حدث ، فقط أنا أنعى خيبة أملى فيها . هذه التى صدقوا
عندما صوروها عمياء .. أو مغمضة العينين .. العدالة !
— أحيانا فعلا تغيب أو تزيف الحقائق أمام عدالة الأرض .. لكن
تظل هناك دائما عدالة السماء تسهر لترعى الجميع ..
— بل وحتى هذه الأخيرة .. بدأ إيمانى بها يتزعزع ! .
— حاشا لله ..
قالت باكية :

— إذن فلماذا لم تتدخل حتى الآن ؟ .. ماذا تنتظر ؟ . أن يقضى تماما على مستقبلى ؟ ، هل نسيت أنني يجب أن أمثل غدا أمام النيابة كي يحققوا معى ؟ ، هل يعقل هذا ، أنا أقف أمام النيابة .. متهمة .. وهى .. سامية هانم .. تجلس فى منزلها .. شامخة برأسها .. محترمة مبدلة مكرمة .. ذاتها مصونة ؟ !

« سامية هانم » .. لماذا ألقت بها الأقدار فى طريقها ؟ لكم تمت لو أنها لم تلتق بها أبدا ، الغريب لم يكن هذا رأيها يوم دخلت مكتبهم لأول مرة .. تسبقها رائحة عطر فاخر كأنما لتفتح لها الأبواب .. أو القلوب ، يومها رفعت رأسها عن أوراقها وتلفتت حولها فى حيرة .. بحثا عن مصدر الرائحة .. لكنها لم تجد غير زميلات البسيطات و .. ثلاث من الأرامل .. المنشحات بالسواد وقد كادت عيونهن أن تقورم من أثر البكاء ، غير معقول أن تكون المصدر واحدة منهن .. فالرائحة الوحيدة التى يمكن أن تفوح من مثل هؤلاء .. هى رائحة العرق ، لم تطل حيرتها .. فجأة سطع القمر على الباب .. سامية هانم .. جميلة .. رشيقة .. بالغة الأناقة .. رغم أنها بدورها ترتدى السواد .. لكن هكذا الثراء .. عندما يطبع بصمته على أى شئ .. يصبح مختلفا .. الملابس السوداء إذا كانت غالية فاخرة ثمينة تتألق ربما بأكثر من فساتين الزفاف البيضاء ! .. اتجهت القادمة مباشرة صوب مكتب مدام « سعاد » .. الرئيسة .. وقدمت لها بعض الأوراق .. قراتها ثم أشارت بإصبعها إلى المكتب المقابل :

— حسب مكان إقامتك .. فموضوعك يتبع مدام نوال .. سرت نوال أن يكون موضوع هذه الفاتنة معها .. الله جميل يحب الجمال ، عدا راحة الحواس .. العينين والأذنين والأنف .. فالتعامل مع مثل هذه يريح الأعصاب .. أو يمنحها هدنة من « المناهدة » مع باقى المتعاملات ، فلا شك نالت قسطا من التعليم .. الأمر الذى يجعلها تستوعب ما يقال لها بسهولة .. ليس معنى هذا أن نوال

كانت تضيق بالمتعاملات معها من البسيطات .. إطلاقاً ، لاهى ولا أية زميلة فى المكتب . كمن يقدرن ان هؤلاء السيدات يترددن عليهن وهن فى انعس حالاتهن وهل هناك ما هو اسوأ أو أصعب من فقد شريك الحياة ؟ . السند والمعين .. رب الأسرة وراعيها .. وحاميها من عواذى الزمن ؟ ، هاهى ذى الزوجة تفقد رجلها فجأة لتجد نفسها وحيدة وقد ناءت كتفاها . بجمل ثقيل .. المنزل وتربية الأولاد .. والسعى وراء المعاش .. والتركة والضرائب و .. المجلس الحسبى ، تذهب إليه لتقابل المعاونة المنوطة بها .. ومازال جرحها جديداً ينزف ، عدا أنها تجهل بالطبع كل شىء عن القوانين .. وما لها وما عليها .. لذلك يبح صوت المعاونة وهى تحاول إفهامها كل ذلك .. وتظل تعيد ما تقول لثانية وثالثة وعاشرة .. كالاسطوانة المشروخة ! .

لكن المعاونات لم يضقن كثيراً بهذا العناء .. اعتبرته قدرهن .. ما ضايقهن حقاً عدم التقدير ، تتخرج هى وزميلها فى كلية الحقوق .. فيعين الزميل وكيل نيابة .. وهى المهنة الممنوعة على الفتيات .. لذلك يعين معاونات للمجالس الحسبية .. ليصبحن مرعوسات لوكيل النيابة الزميل ! . الذى يحظى بالكثير من الامتيازات ، قالت نوال ذات يوم رداً على إحدى الزميلات . — ليس بيننا وبين وكلاء النيابة خصومة حتى تضيق بما يتمتعون به .. والأفضل أن نطالب بنصيبنا فى هذه المميزات .. ضحكت زميلة آخرى وهى تعقب :

— طبعاً ليس بيننا وبينهم خصومة .. وإنما حب وعشق متيم ! . انطلقت الزميلات يضحكن بينما احمر وجه نوال خجلاً .. كانت الزميلة تقصدها بالطبع .. حيث زوجها « سعيد » وكيل نيابة الأحوال الشخصية . تلازما فترة فى العمل .. لتنشأ بينهما قصة حب رقيقة .. سرعان ما توجهها بالزواج .. ثم اكتملت سعادتهما بطفلتين كما ملاكين ، وسار مركب حياتهما فى بحر هين الأمواج .

خال من الانواء .. تزفه ترنيمة ظننها أبدية .. ستظل حتى نهاية الحياة ..

وفى حين بقيت نوال فى نفس مكانتها حصل سعيد على عدة ترقية حتى أصبح رئيس نيابة ، وتضحك سعاد وهى تغمز بعينها تجاه نوال :

— انت مثل ألمنشار الذى ياكل صعودا وهبوطا .. فإذا منحت المعاونات ميزة أخذتها معنا وإذا كانت المزايا من نصيب وكلاء النيابة حصلت عليها أيضا ! .

لكن الحقيقة ان سعادة نوال لم تكن بسبب هذه المزايا المادية أو تلك ، منذ صغرها وهى تهتم بالمعنويات أكثر ، رباهما والدها .. الشيخ الأزهرى الصالح .. ومعها اخوتها جميعا .. على تقديس القيم ، لذلك كانت سعادتها الحقة فى شعورها بحب زوجها وحنانه .. عليها وعلى الأولاد .. ينبوع من الحنان هو .. لذلك لم تكن لتتصور نفسها يوما تلح عليه فى طلب الطلاق .. لكنها أيضا لم تكن لتتصور أن ما حدث حولها يمكن أن يحدث ، وهى المحبة للخير .. تقدمه دائما كلما استطاعت .. لكل الناس عامة .. وللأرامل المترددات عليها على وجه الخصوص لدرجة أنها أحيانا تساعدن فى بعض أشياء صغيرة .. ترى أنها فى صالحهن وصالح أولادهن القصر ، كانت دائما تردد أن بعض بنود القانون تبدو أحيانا جامدة .. وأن الأهم من تنفيذ نصوصه .. هو تنفيذ روحه .

الغريب أن سامية هانم جاءت بها يوما لتقول لها نفس الكلام بالنص وتضحك نوال :

— هذا مبدئى فى الحياة .. وما أحاول دائما أن أطبقه ..

— إذن ليتك تعاونينى فى هذا الموضوع الصغير .

لكن الموضوع لم يكن صغيرا أبدا .. تريد منها أن توافقها على الحسابات التى قدمتها عن إيراد المستشفى الذى تركه زوجها .. رغم

أن هذه الحسابات كانت نقل كثيرا عن نصف الإرادة الحقيقي ! ردت على احتجاجها :

— لقد وافقتني يا مدام نوال على أن نصوص القانون الجامدة تكون أحيانا غير عادلة .. وانها لا تستطيع أن تكون فى صالح الكل وإنما دائما لها ضحايا ، والأمر هنا كذلك .. عندما كان زوجي على قيد الحياة .. كان ينفق كل دخل المستشفى على وعلى طفلتنا الوحيدة .. الآن مفروض على أن أعطي أباه وأمه وأخوته ما يقرب من نصف دخلنا .. ألا يكفي أننا فقدناه هو حتى نفقد المال الذى كنا نستمتع به أيضا ؟ هذا ظلم .. قانون ظالم .. انه حقى وحق ابنتي وحدنا دون شريك ، وزوجي نفسه كان يريد هذا .. من كل قلبه .. وترد نوال بهدوء :

— يمكن أن أوافقك على غياب بعض القوانين الوضعية .. أما قانون المواريث هذا فقانون إلهى .. ولا يمكن أن يظلم الله أحدا .. أبدا ..

ويطول الحوار .. وتستخدم سامية الأسانيد والحجج لتبرير طلبها .. لكن نوال لا تلين قط .. انها مسألة ضمير .. تعتبره دائما فوق كل شيء .

بعد الغداء يفاجأ سعيد بزوجه تصرخ .. فيسرع إليها .. ليجدها تمسك بيديها رزمتين من النقود .. تحوى كل منهما ألفا من الجنيهات وتقول بذهول :

— وجدتها فى حقيبتى .. لست أدري كيف جاءت ، أه يا إلهى .. ذهبت مع سامية هانم إلى المستشفى للمعاينة ثم أوصلتني بنفسها حتى هنا .

سكتت قليلا ثم عادت تقول وصوتها يتلون من الدهشة إلى الغضب :

هذه السيدة الحكيمة .. ماذا عساها تظننى ؟ . والآن ماذا أفعل ؟

ويرد زوجها بهدوء :

— ابلغى النيابة فوراً .. هذه جريمة رشوة بيئة .
وتهتف نوال باستنكار :

— معقول هذا ؟ ! لقد أخطأت طبعا .. والمفروض أن أراجعها
وألقنها درسا ، لكن مع استعمال الرأفة .. لا أن اضيرها ، ضميرى
لا يقبل هذا .. ان لم يكن من أجلها فمن أجل طفلتها .. التى فقدت
أبائها بالموت .. فهل آحرمها أيضا بالقائها فى السجن ؟ .
من ثم تذهب إلى سامية فى منزلها .. حيث تظهر لها مزيدا من
استيائها من تصرفها وهى تعيد إليها أموالها ، وتحاول المضيفة أن
تثنى نوال عن موقفها .. لكن عبثا .. فتقول جملة واحدة وهى تنظر
إليها نظرة غريبة :

— هكذا ؟ ستندمين !

وتهز نوال كتفها باستهانة وهى تغغم لنفسها .

— انها لا تعرف اننى آخر من يندم لخلويده من النقود .

فى حين كانت سامية تقصد شيئا آخر .. لم يتطرق إلى ذهن نوال
قط ، وهل كانت تتصور أن يصبح جزاؤها على عدم الإبلاغ عنها أن
تتهمها هى ؟ بعد أيام تبلغها رئيسبتها وهى جدا منزعة ان شكوى
قد وصلت: الوزارة من سامية تتهمها فيها بطلب رشوة كى تضع
التقرير لصالحها .. فلما أبى ضميرها ذلك ! وضعت تقريرا مغاليا
فيه جدا .. نكايه بها ، وتأخذ الرئيسة أقوال نوال .. ثم تعيد
التحقيق إلى الوزارة .. مشفوعا بالنتيجة التى توصلت إليها .. عدم
صحة الادعاء إطلاقا .. وكذب السيدة الواضح .

كان المفروض .. والذى يحدث فى مثل هذه الأحوال .. أن يحفظ
الاتهام لعدم جديته ، لكن هذه المرة بدأت الأحداث تقع تباعا ..
صدر أمر بإيقاف نوال عن عملها .. ثم تلاه أمر آخر بإحالتها إلى
النيابة للتحقيق فى الاتهام وكانت الثالثة الأتافى أمراً بنقل زوجها -

الذى لا صلة له بالموضوع إطلاقاً - إلى نيابة الأحداث بحى
شبرا ! ، حتى لا يتسبب وجوده بنياية الأحوال الشخصية فى حرج
يقع فيه وكيل النيابة الذى يقوم بالتحقيق مع نوال كما برروا له
سبب نقله ! طبعاً الجميع كانوا يدهشون لكل هذه الإجراءات ..
التي لم يسبق لها مثيل ، حتى جاءهم كبير الكتاب بالنبا اليقين ..
وقد اكتشفه مصادفة .. مسئول كبير بالوزارة ابن عم للمدعوة
سامية .. لذلك سارت الأمور باعتبار المتهمه مدانة حتى تثبت
براءتها .. وليس العكس كما هو المتبع ! .

وتكاد نوال تنهار .. خاصة عندما أحست أن السيدة الموسرة ..
ومن خلفها قريبها ينيوان أخذ زوجها معها بجريرتها ، وهذا ما لم تكن
لتقبله .. إذن ليتم الانفصال بينهما حتى ينجو سعيد بنفسه من
بطشهم .. لكن رجل العدالة .. الواثق منها ومن نفسه ومن براءة
زوجته .. يهدىء من روعها بأن الحق لابد أن يظهر فى آخر الأمر .
وبكلماته .. يأخذ شعاع بسيط من الطمأنينة فى التسلسل إلى
قلبها .. لذلك تدخل فى اليوم التالى على وكيل النيابة بخطي ثابتة ،
لكن ما يكاد الوكيل يمضى فى أسئلته .. حتى يبدأ ذلك الشعاع
الواهى فى الأفول .. ليحل محله قلق راح ينساب داخل نفسها كجسد
ثعبان أملس .. فوجئت بأن المدعية لم تلق الاتهام هكذا جزافاً وإنما
أحكمت نسج خيوطه .. حيث استشهدت ببواب عمارتها ومساعدته ..
على حضور نوال إلى منزلها وتصميمها على مقابلتها .. رغم
اخبارهما إياها بأن السيدة نائمة ، كما استشهدت ببعض الفراشين
فى غرف المعاونات بوقائع يمكن اتخاذها أدلة .. بعضها حدث فعلاً
لكن أسىء تأويله .. وبعضها مخلق من أساسه .. عادت نوال إلى
منزلها ساخطة .. قالت بمرارة :

— هؤلاء الفراشون .. الذين كثيراً ما أكرمتهم .. يشهدون
ضدى ؟ هل أصبح جميع الناس هكذا سيئين ؟ !

ويرد زوجها :

— لا .. ليس كل الناس كما تظنين ، وهؤلاء الفراشون المساكين .. لا يعلم إلا الله ماذا كانت الضغوط التي وقعت عليهم كي يقولوا ما قالوا .

بالفعل لم يكن كل الناس سيئين .. فالدور الذى قامت به الأستاذة سعاد كان رائعا ، عندما حول إليها بحث ومعاينة تركة زوج سامية .. وتحدثت هذه الأخيرة فى موضوع الاكرامية « لتعديل التقرير » بادرت بإبلاغ النيابة .. فتم عمل كمين . دار الحوار طويلا بين الاثنتين حتى أنهته سعاد برقة وهى تتمنع :

— لا .. لا .. لن أخذ شيئا يا سامية هانم .. فلا أريد أن أكرر مأساة نوال .

وتضحك الأخرى :

— نوال هى التى جلبت على نفسها المتاعب . حيث لم « تفتح مخها » معى .. ولو فعلت لأكلت الشهد بدلا من تجرع العلقم ، لم تريها وهى ترفض التعاون معى بصلافة وتكبر ، ولعلمك . لا أحد يستطيع أن يحول دون تحقيق ما ..

فى هذه اللحظة أطبق عليها رجال البوليس .. ففقط استرسال حديثها .

بعد انقشاع الغمة .. قالت نوال تحدث صورة يعلقها زوجها لتمثال العدالة :

— أقدم لك جزيل اعتذارى .. عن شكى القديم فيك ، حقا إنك معصوبة العينين .. لكنك مع ذلك .. أبدا لست عمياء .





إنهم يسرقون الحب

قال خيرى لدفعة المحاسبين الجديدة التى
التحقت بالشركة :

— نحن سعداء جدا بحضوركم .. وأرجو أن
نتعاون جميعا لصالح العمل :

لم تكن مجرد كلمات مجاملة .. فأعمال الشركة
فلتت فى ازدياد طوال الأعوام الأخيرة .. دون أن

يُصاحبها زيادة في اعداد الموظفين ، حتى اتخم الجميع بالعمل ،
الآن سيقسم العمل على ثمانية محاسبين بدلا من خمسة ..

مضى يتطلع إليهم ، شاب وفتاتان .. تعلقت نظراته بالسمرَاء
النحيقة ذات العينين السوداوين الضاحكتين كأنهما أرجوحتان من
نغم .. والشعر الفاحم الذى تنسكب خصلاته على جانبي وجهها ،
لكنه سرعان ما سحب عينيه عنها وهو يزفر ، كم مرة استلقت نظره
زميلة أحسن بالارتياح إليها .. لكنه قبل أن يتقدم خطوة واحدة
تجاهها .. يجد هذه الزميلة تتقدم هي إليه .. ببطاقة دعوة لحضور
حفل خطبتها ! ، إذن فسوق الزواج رائجة جدا ، كيف يحدث هذا
الزواج مع أزمة الاسكان الطاحنة تلك ؟ ، هو مثلا .. إذا رغب في
الزواج فلا بد أن تمر سنوات.. وسنوات حتى يستطيع تدبير شقة ،
وأي عروس يمكنها أن تقبل هذا الانتظار الطويل ؟ ..

أية فتاة الآن أصبحت تريد العريس الجاهز ، وكان الزواج معركة
عظمى .. يجب ألا يتقدم إليها إلا من أتم إعداد أسلحته كلها .. شقة
ومهر وشبكة-إلخ إلخ ، أما من أضاف إلى كل ذلك سيارة أيضا .. فهو
الفائز من أول مناورة ! ..

هناك استثناء واحد .. الحب ، عندما تحب الخطيبة فتأها فإنها
تقدم - بكل تأكيد - على تقديم العديد من التنازلات .. مثل الشبكة
وحفل الزفاف والمهر الكبير ، بل وحتى ما لا يمكن التنازل عنه .. مثل
الشقة .. فإنها تتجمل إزاءها بالصبر ولا تمل طول الانتظار ، طبعاً
هذا ليس اكتشافاً .. الكل يعرف ذلك . فقط .. أين هو الحب ؟ . أنه
موجود بكثرة .. في أفلام التليفزيون والسينما ، آه .. وأيضاً في
المسرحيات ، أما في الحياة فيبدو أنه أصبح مثل طربوش الأجداد
وحبرة الجدات .. موضحة قديمة .. عفى عليها الدهر .. وأمست في
خبر كان ! ..

هن خيري رأسه وهو يؤكد لنفسه : « لن أهتم بفتاة مهما كانت

رقتها او جاذبيتها » ، وفعلنا نفذ قراره بكل دقة فلم ينظر ناحية « هويدا » طوال .. ذلك اليوم ! ، لكن عينيه بدءا من اليوم التالى تمردنا على أوامره وظلنا تختلسان إليها النظرات فى غفلة منها .. ومنه ! ..

بمرور الأيام والشهور تتوثق اواصر الصداقة والزمانة والمرح البريء بين الجميع فى المكتب .. حتى راحوا يتحدثون فى كافة أمور حياتهم ، ما أجمل هذه الدقائق يختلسونها وسط ساعات العمل .. رغم أن الأحاديث كانت حول أشياء ليست بذات أهمية كبيرة ، المهم أصبح فى استطاعة خيرى أن يحدث هويدا فى أمور عديدة .. لكنه لا يذهب إلى أبعد من ذلك ، وهو يتوقع فى كل صباح أن تحضر إلى الشركة وهى لامعة العينين متوهجة الوجه .. ثم تفتح حقيبة يدها ببطء شديد لتخرج منها دعوات حفل خطبتها كى توزعها على جميع الزملاء والزميلات ! ..

كل يوم يقول لنفسه « حتى الآن لم يحدث .. مع ذلك فهو منتظر بين لحظة وأخرى .. لذلك لابد أن أوقف اهتمامى بها حتى لا يزيد فيصبح حبا .. كى لا تكون الصدمة شديدة عندما أسقط مرة فى قاع الحقيقة .. فما أفدح المقابل الذى ندفعه ثمنا للحلم » .

فجأة لاحظ خيرى شيئا فريدا ، نظرات وابتسامات بين هويدا ومجدى .. زميلهما فى المكتب ، وإذا أخفى مغزى هذه النظرات على الجميع فهو لن يخفى عليه ، صحيح أن الحب مازال جنينا فى رحم الغيب .. لكنه لاشك سيولد قريبا ، ضحك طويلا بصوت عال .. رغم وجوده منفردا فى غرفة نومه .. خبط كفا بكف .. شىء عجيب مذهل .. صحيح توقع دائما أن يأتى شخص ما ويختطف هويدا كما اختطفت غيرها من قبل .. لكن آخر ما توقع أن يكون مجدى هذا الشخص ، فهو مثله .. أعزل تماما .. صفر اليدين من كافة أسلحة الزواج ، تساعل بمرارة :

— كنت أفهم سائر الفتيات عندما يفضلن العريس المستعد على .. لكن ماذا فى مجدى حتى تفضله على ؟ » .
لكنه عاد وتذكر أنه لم يحاول قط أن يظهر لهويدها اهتمامه بها ،
وإذن لم يكن هناك موضوع تفضيل .. حتى الآن ، لكن التفضيل
سيأتى بعد ذلك .. عندما يظهر العريس الجاهز .. فتقع عملية
الاقتران المعنوية ، بيد أنه هذه المرة سيكون جالسا فى الصالة
يتفرج وليس ضمن الأبطال على المسرح ، من ثم سيكون فى
استطاعته أن يضحك ويضحك .. فى حين ينزوى مجدى بعيدا وهو
يلعق جراح أحلامه المبتورة ، لن تكون سعادته وقتها نابعة من
شماته .. فمجدى لم يأخذها منه .. لكنها ستنبع من إحساسه أنه فى
هذا الهم ليس وحده ، أو كما يقول المثل العامى « من شاف بلاوى
الناس هانت عليه بلوته » .

نعم كان بلاؤه أخف كثيرا .. حيث لم يكن غارقا فى الحب حتى
أذنيه .. مثل رميو آخر الزمان هذا .. صاحب الرؤية الرومانسية
السانجة ، وهل أدل على سذاجته من تلك الفرحة العارمة التى
استخفته يوم جاءهم نائب المدير بذلك المنشور الذى وزع على كافة
الإدارات ؟ ، الشركة بصدد إنشاء فرع لها فى إحدى المدن
الجديدة ، والموظف الذى يوافق على النقل إلى هناك .. سوف
يحصل على شقة من غرفة واحدة وصالة ، وأيضا فإن رأته سيزداد
بنسبة خمسين بالمائة ..

هل ظن ذلك النائم فى العسل .. فوق وسادة موشاة بالأحلام .. أن
هذا الأمر هو الحل السعيد الذى يمكن أن يحل أزمة أى شاب مقبل
على الزواج ؟ ، وأى عروس يمكن أن تقبل هذا الحل الخائب ؟ ، أن
تكون كل مملكتها المنتظرة غرفة واحدة بعيدة عن العمران ،
وأين ؟ .. فى مكان بعيد تبعد عن أسرتها وصديقاتها و .. الناس
جميعا ، بل هى سوف تعزل المدينة والرفاهية والحضارة ..

ستحرم من أية وسيلة تسرية أو ترفيه ، ستعدم حتى مجتمعا ترتدى فيه ملابس عرسها الجميلة .. أو معارف تمازجهم أو تتحدث معهم .. لدرجة أنها قد تنسى الكلام ! ، أية حياة قاسية كئيبة مملّة .. الصباح مثل الظهر والظهر مثل العصر ، أما المأساة حقاً فهي عندما يحل المساء .. الذى يلف المنطقة السكنية كلها بسكون أشبه بالموت ، وفى داخل المساكن لن يكون الحال أفضل ، فلن يستطيع ساكنوها برواتبهم وحدها - حتى بعد زيادتها - أن يحصلوا على الأثاث الوثير أو الأجهزة الحديثة .. إلا بعد سنوات من المعيشة الصعبة .. عندما يكون الشباب قد بدأ يولى ! ..

مؤكد أن مجدى واهم يحلم وحده ، ولو أنه فاتح هويدا فى هذه الفرصة العظيمة لسخرت منه ، وحتى إذا كانت هى بدورها خيالية - رومانسية حاملة مثله .. فأسرتها لن تتركها تحلم طويلا ، ولابد - وهى على هذه الدرجة من الجمال - سيطرق بابها العريس الملىء .. الذى سيوقظها من أحلامها عندما يقدم لها كل متطلبات الزواج على صينية من ذهب .. أو حتى فضة ، موفرا عليها عمرا من الانتظار والمعاناة والعذاب ، ولن يتأخر ذلك كثيرا .. فلتنتظر يا مجدى .. وسترى .

ذات يوم يقرأ إحدى جرائد الصباح .. إذ بخبر أو إعلان يقفز من بين السطور ليتعلق بأهداب عينيه متراقصا أسفلهما .. مطلوب التبرع بكلية مقابل مكافأة مجزية .. عشرون ألفاً من الجنيهات ، تنهد فى سريره .. يا له من مبلغ مغر وإن كانت الفكرة فى حد ذاتها صدمته .. لأول وهلة .. شىء منفر تماما ..

لم تمض أيام حتى قرأ إعلانا آخر بنفس المعنى .. هذه المرة لم يكتف الإعلان بالقفز أسفل عينيه وإنما اخترق رأسه .. حتى اضطر أن يهزه عدة مرات فى محاولة لإخراجه منه .

يا له .. ما هذا ؟ .. هل أصبحت موضة ؟ .. شوطة ؟ كل يوم

تقريبا يقرأ مثل هذا الإعلان ، ذلك أمر غير عادي .. لكانها مؤامرة
على إرادته .. فعلا هذا الإعلان يطارده .. يحاصره لم تعد سطور
مجرد كلمات بل مخالب تمتد لتمسك بتلابيبه .. ومرة أخرى راقصات
فاتنات تتثنى وتتأود امامه .. وثالثة أنوار نيون تبهق وتنطفئ في
ثوان .. ورابعة جيوش نحل تحوم حول وجهه مطلقة أزيزا صاخبا
متصلا .. وخامسة ومضات نار مضت تلسع تفكيره .. وسادسة
باقات ورود تنفرش تحت قدميه !! ..

وبدا يفكر .. ولم لا ؟ .. نعم لم لا ؟ .. ليس الأمر خطرا
ولا حراما ، ولو كان الأول لمنعته الهيئات الطبية .. ولو كان الثاني
لاحتج عليه رجال الدين ، لكن أحدا لم يعترض .. واحدا
لم يستنكر .. هذا الأمر ، والإعلانات تنشر في أكبر الجرائد جهارا
نهارا ، وإذن فهي شيء مشروع .. تماما ! ..

ما أكثر ما سوف تحققه له العشرون الفا ، مضي يحسب في
رأسه .. لا .. انه يحتاج لخمسة وعشرين من أجل الحصول على
زيجة مستريحة وسريعة .. قبل أن يتسرب عمره من بين أصابعه
قطرة قطرة ، من أجل التسليح بكافة المزايا التي تجعل أي فتاة تسلم
بلا قيد ولا شرط ، عشرة آلاف قيمة خلو الشقة .. ومثلها للمهر
والشبكة وحفل الزفاف ورحلة شهر العسل .. وبعض النثرات ، ثم
خمسة لشراء سيارة نصف عمر تقصر المسافات ، أية مسافات ..
حتى الممنوعة منها .. ولو كانت بينه وبين العروس ! ، وإذن ..

فلا بد أن « يفصل » أهل المريض حتى يوافقوا على الريادة التي
يطلبها ، من يدفع عشرين ألفا يمكنه دفع أكثر .. انه يشتري
حياته .. من ثم فلا بد أن يقبل ، خاصة وهو لن يجد متبرعين
كثيرين .. يعرف أن فصيلة دمه نادرة .. لذلك فهو يطلب من موقع
لذة ، والمسألة آخر الأمر يحكمها قانون العرض والطلب !! ..
ولقد حدث فعلا ما توقعه .. وافقت أسرة المريض على المبلغ

الذى حدده بسهولة ، لدرجة أنه أنب نفسه .. « لماذا لم أطلب أكثر ؟ .. كانوا على استعداد للدفع ! » ..

طيلة خطوات تفكيره فى ذلك المشروع .. وإمكانية الأقدام عليه .. وما سوف يحققه بناتج عائد .. وصورة هويدا على باله ، لا يظن أنه أحبها لهذه الدرجة .. دائما كان يشعر أنه يستلطفها فقط ، أيضا غالبا صورة مجدى إلى جوارها .. فهل أحبه هو الآخر ؟ .. ترى ما معنى توالى هذه الصورة ؟ ..

بطبيعة الحال هو أخفى الأمر عن زملائه ، طوال أيام التحاليل كان يذهب إلى المستشفى بعد خروجه من الشركة ، وفى موعد الجراحة طلب إجازة مرضية ، لكنه يفاجأ ذات يوم بمجموعة من الزملاء تزوره فى المستشفى ، يا لأمه الساذجة .. أعطتهم العنوان رغم تأكيدها عليها بعدم ذكره لأحد ، ترى .. هل يسخرون منه ؟ .. هل يستنكرون ما فعل ؟ قال لنفسه بتحد « من يفعل منهم سيكون ذلك لقلة حيلة .. ثم لأدعهم يسخرون ويستنكرون ما شاعوا .. فسينقلبون قريبا إلى حاسدين حاقدين عندما أحصل بسرعة البرق على العروس والشقة والسيارة ! » ..

انتهت الجراحة لكن كان لابد من فترة نقاهة .. ألا ليتها تنتهى بدورها سريعا قبل أن يقضى الأمر وتتم خطبة هويدا إلى مجدى ، لكنه يعود ويطمئن نفسه .. ليست هذه الخطبة بالأمر الممكن ، لن تقبل هويدا أن تقفز هذه القفزة فى الظلام ، وبفرض أن الحب قد ختم على بصرها بعصابة كثيفة . فاين ! أهل الفتاة ؟ ، وأه من أهل أية فتاة وطلباتهم واشترائاتهم ، أضاف يزيد من جرعة اطمئنانه ، حتى لو حدثت المعجزة وتمت خطبة هويدا .. فإنها قطعاً - وبمجرد تلويحه بما فى يده من مقومات الزواج الحقيقية - سوف تفسخ تلك الخطبة ! ، ألم يحدث ذلك معه فى واحدة من المرات العديدة التى فكير أو حاول فيها الزواج ؟ ، فى أولها اختار فتاة أحلامه وحيزم أمره

فقط ، فى الثانية بدأ يبدى مشاعره لمعبودته ملمحا بفكرة الزواج ،
أما فى الثالثة فكانت الخطبة قد تمت بالفعل رغم اعتراض أسرة
الفتاة فى أول الأمر ، لكن مع هذا الاختلاف فى البدايات فقد كانت
النهاية واحدة ، فجأة يكشف الزمن عن أسنان تقضم حلمه .. حين
يظهر الفارس المنتظر مستعرضا إمكانياته .. فإذا بالفتاة - فتاة
خيرى - تهرع نحوه دون حتى كلمة اعتذار !

هذه المرة سيحدث تغيير فى أبطال اللعبة .. سيتبادل هو
ومجدى المراكز .. مركزى المنتصر والمهزوم ، سيقوم بدور
الغضنفر المقتنص بدلا من دور الأرنب المذعور ، وبألمها من سعادة
تملأ القلب .. يألها من نشوة تدير الرأس .. يالطعمها الحلو على
اللسان ، عندما يسترد كرامته التى تبعثرت فى كل فج .. عندما ينتقم
من كل الذين أحبطوه سالفاً .. فى شخص هذا « المجدى » الغارق -
فى الأحلام ، ترى هل لهذا السبب كانت صورتنا هويدا ومجدى
تخيلان خاطره طوال تلك الفترة ؟ ..

انتهت أيضا فترة النقاة وجاء يوم عودته للعمل ، الزملاء جميعا
رحبوا به .. من الظاهر .. لكن الله يعلم بما فى داخل القلوب ..
والعقول ، لم تكن مفاجأة ان وجد درجة حرارة الانسجام بين مجدى
وهويدا قد ارتفعت درجات .. أصبحت العلاقة معلومة للجميع ،
حتى أن رئيس المكتب وجه إليهما ذلك السؤال العذب :

— هيه .. متى ترانا سنشرب الشربات ؟ ..

وتطرق هويدا حياء فى حين يرد مجدى وابتسامته تصل ما بين
أذنيه :

— قريبا .. قريبا إن شاء الله ..

فينثنى الرئيس موجهها حديثه لخيرى :

— حسن أن عدت من الأجازة يا صديقى .. حتى تشاركنا جميعا

الأفراح ..

ساعة الانصراف يتحين خيري لحظة ينفرد فيها بهويدا فيطلب منها أن تلقاه بعد الظهر في أحد الكازينوهات ، وعندما تعتذر يلح عليها :

— أرجوك .. انها مسألة حياة أو موت ! ..

وتأتي منزوعة وهي تفكر في أكثر من خاطر .. لكنه يفاجئها بأبعد شيء كانت تتوقعه :

— هويدا .. هل تتزوجيني ؟ .

وتبتهت : لكن يا خيري أنت تعلم اننى شبه مرتبطة بمجدي زميلي .. زميلنا ..

— هو زميلي حقا لكنى لا أستطيع أن أقف مكتوف اليدين وأنا أراك تنساقين مغمضة العينين إلى طريق مظلم ، اننى أملك كل شيء .. فماذا يملك مجدي ؟ ، هل تنتظرينه عشر سنوات حتى يحصل على شقة ؟ ..

— بل سيحصل على شقة بعد شهر في المدينة الجديدة التى حدثنا عنها نائب المدير .

— أتسمين ثقب الابرة هذا شقة ؟ .. وذلك المكان مدينة ، انها منفى ، مجدي يحلق بك وسط سحبات خيال ووهم كاذب ، ان أمامكما حتى تصلا للحياة الناعمة المريحة طريقا طويلا .. طويلا .. من المعاناة والكفاح ..

— رحلة الكفاح ستكون رحلة السعادة لاثنين تفاهما وتقاربا و .. تحاربا ..

— وإذا تواجد الحب مع الإمكانيات ألا يكون أفضل ؟ ، لماذا يسير إنسان فى طريق طويل وأمامه طريق آخر مختصر ومقروش بالرياحين ؟ ، لماذا يركب شخص ما عربة صغيرة بطيئة .. مادام متاحا أمامه أن يركب طائرة ؟ ..

— انه قد يفعلها إذا كان ركوب هذه العربة البطيئة اشرف له

واكرم ، طائرتك يا استاذ خيرى لا تروقنى .. لا أشعر تجاهها بالارتياح !

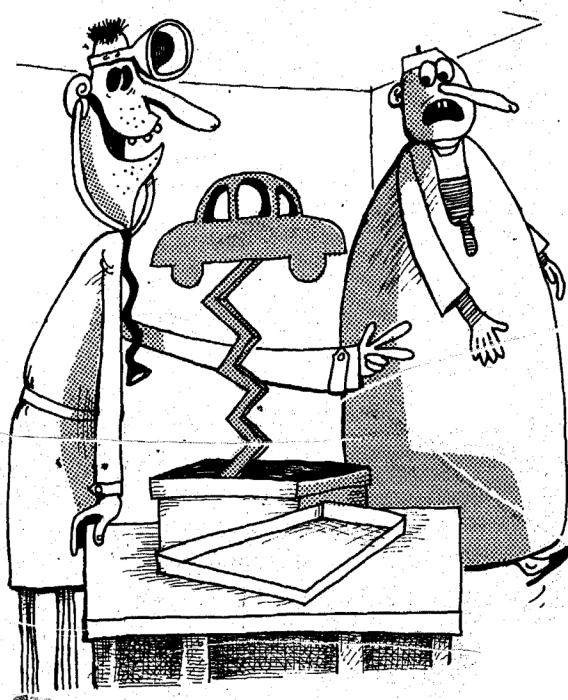
بدأ يحس بكلماتها تنساب داخله كجسد ثعبان أملس ، ولكى يمنع نفسه من البكاء فتح فمه وضحك ، لكنها تستطرد :
— لم أكن أود إحراجك لكنك لم تترك لى خيارا .. هل نسيت من أين جاءتك النقود ؟ ، انك وقد هان عليك بيع جزء من جسدك .. سيكون أهون عليك أن تبيعنى أنا أيضا .. إذا ما دعت الظروف ! ..
صاح : هذا منطق ظالم .. كنت اعتقد أن ما فعلت يحسب لى وليس على ، فلننتك ستقدرين عمق حبنى لك من تضحيتى بكليتى فى سبيل الوصول إليك ! ..

هزت رأسها : أنت لم تحبنى بل لم تحب سوى نفسك ، ولم تفعل ما فعلت كى تصل إلى ولكن لتصل للطريق السريع والسهل كما قلت بلسانك ، لقد كنت تستطيع الوصول إلى بالفعل فى تلك المدينة الجديدة لكنك فضلت الاستسهال العاجل حيث لا يمكنك أن تطبق هذا الطريق الشاق الوعر .. مع انه طريق الرجولة الحق ..
بدأت الأرض تميد تحت قدميه .. حيث خيل إليه وكان ناموس الحياة قد اختل ، فلم تعد الأمور تفسر سيرها الطبيعى ، مؤكداً أن هويدا - وهى تلعب دورها - قد خرجت عن النص !! ..
قالت هويدا تنهى الأمر وهى تتأهب للانصراف :

— قلت لك اننى لا اصدق زعمك بالتضحية فى سبيلى ، لكن حتى لو كان صحيحا انك ضحيت بقطعة من جسدك من أجلى فقد ضحى مجدى برحلة كفاح وعرق .. وصدقنى ... نقاط العرق .. اثنى وأغلى ! ..



أهلاً بالبطل



بدخوله انقطعت كافة المناقشات التى كانت دائرة
فى غرفة الصالون المتسعة الأرجاء .. هب
صاحب الشقة ليلقاه مرحبا بحرارة .. ثم انثنى
يقدمه للحاضرين :

— الدكتور أحمد طاهر .. صديق عزيز قديم ..
التقيت به من أيام بعد فراق طويل لاكتشف أنه
- ويا للصدفة السعيدة - قد أصبح جارا لنا .. استاجر الشقة التى
خلت بالدور السادس من عمارتنا .
تمتم كل واحد من الحاضرين بكلمة ترحيب صغيرة ثم سادت
فترة صمت قطعها أحد الحاضرين متسائلا :

— والدكتور ياترى .. عنده سيارة ؟

قبل أن يرد الدكتور أسرع مضيفه يجيب نيابة عنه :

— لا .. الدكتور لا يمتلك سيارة .

نظر اليه الدكتور أحمد بدّهشة وهو يقول :

— لكن عندما التقينا منذ أيام - ذلك اللقاء بعد الغيبة الطويلة
الذى حدثت الحاضرين عنه - كان ذلك فى جراج العمارة .. وكنت
أهم بركوب سيارتى ، اننى حتى أذكر أنك أبديت إعجابك بها .
— صدقونى أنا .. الدكتور أحمد لا يمتلك سيارة ولكن .. تحفة ..
تحفة نادرة المثال وأى شخص سوى يرى تلك التى كنت تهم
بركوبها فإنه لا يمكن أن يطلق عليها سيارة .. يظلمها .. يبخسها
حقها .. ؟

انقضت الدهشة عن وجه الدكتور أحمد وهو يضحك عاليا بينما
أردف الأستاذ كامل قائلا :

— تكيف ايه .. وراڊيو .. وتليفزيون و.. و .. أه .. والأروع ..
لونها .. ولمسها حرير يا سادة .. وفورمتها .. آخر صيحة .. وآخر
إضافات .

كشفت ضحكة الدكتور أحمد عن سعادته وهو يقول :
— انها هى التى خرجت بها من بعثة أمريكا ، كل زملائى اشتروا
أشياء كثيرة .. ثلاجات .. خلاطات وغيره وغيره .. أنا لم أكن أهتم
بهذه الأشياء .. وضعت كل مدخراتى فى هذى السيارة .. أسف
يا أستاذ كامل .. التحفة إياها !

تبادل الحاضرون النظرات وفجأة قال أحدهم :
— خسارة ... !

بعدها أنهالت التعليقات من باقى الحاضرين :
— لا حول ولا قوة إلا بالله .. !
— عليه العوض .. !

— شىء مؤسف حقا .. !
— أتفعل عيون الناس كل هذا ؟
— عوضك على الله يادكتور .. !
— معلهش .. فداك كل شىء .. !

بدأ القلق على وجه الدكتور وهو ينقل نظراته بينهم بتوجس ..
متم :

— ما هو الموضوع ؟ هل حدث شىء لسيارتى ؟
وعادت الردود تتوالى :

— ليس بعد .. !
— لكن سيحدث .. !
— قريبا جدا ان شاء الله .. !
— لا تتعجل على رزقك .. !
صاح الأستاذ كامل :

— يا جماعة .. لقد أرعبتم الدكتور .

قال الأخير :

نـ .. لا .. أبدا .. فقط أفهم .. !

بدا الأستاذ كامل يحاول الشرح :

— لعلك لاحظت أن جميع الحاضرين يقطنون نفس العمارة .. لم يات هذا الاجتماع اعتباطا ، وإنما قمت بتوجيه الدعوة اليه لبحث جميعا موضوع سايس الجراج عسى أن نجد له حلا .. أنه يدفع السيارات— أثناء تنظيفها .. بلامبالاة فتكون النتيجة جروحا وخدوشا وكدمات .. لكل السيارات .. !

صاح أحد السكان الحاضرين مقاطعا باحتداد :

— أحتج على تعبير « لا مبالاة » .. إذ أنه ليس كافيا .. كان كل تهمته الإهمال .. ولو كان ذلك حقا لأصيبت بعض السيارات ونجا بعضها الآخر .. أما الأمر كما ترون .. لم تسلم سيارة واحدة من أصاباته .. فأننى أؤكد أنه يعتمد ذلك .. وبإصرار مسبق .. !
قال الدكتور أحمد نافذ الصبر وحيرته تزداد :

— ولكن لماذا ؟

— هذا ما لا أحد يدريه .. طراز غريب من البشر .. لا يسعده أن يحظى برضى عملائه .. وإنما على العكس .. يسعده أن يثير غضبهم .. وأسأل الجميع .. كل منا لاحظ بوضوح أنه يقابل ثورته وصراخه بابتسامة هادئة .. ولمعة شيطانية غريبة تبرق في عينيه .. رأى الشخصى أنه يسعده أن يرى نفسه وهو الشخص المتواضع .. بل الوضع .. يستطيع أن يحرق دم من هم فى نظرة عليه القوم ..

— وكيف تسكتون على هذا ؟

— نحن طبعاً لم نسكت .. ومسبقاً قبل أن تشير علينا بنصائحك .. فإننا أعلناه بغضبنا وشتمناه وهددناه وشكوناه

لصاحب الجراج وعملنا له أكثر من محضر إتلاف في قسم
 البوليس .. وبعضنا حزن من إيجار الجراج ما أصلح به خطاته ..
 وفي الاتجاه المضاد حاولت معاملته بالحسنى وأخذته بالحيلة ..
 لكن لا هذا نفع ولا ذلك أجدى .. وعندما عاملته بذوق لدرجة أن
 ناديته « يا استاذ » ثار وخبط سيارتي بشدة .. أه .. نسينا أن نقول
 لكم أهم ما في الموضوع .. هذا السائس شقيق زوجة صاحب
 الجراج .. وقد حدث أن ضاق يوما بشكاوانا منه ففصله .. لكنه لم
 يلبث أن أعاده للعمل بعد أيام متعهدا للشاكين بأن غلطاته
 لن تتكرر .. على ما يبدو أن زوجته غضبت منه وأغلظت له القول
 ونكدت عليه .. وعلى ما يبدو أيضا أنه ضعيف الشخصية حيالها ..
 المهم أنه بعدها تاب عن تلك الفعلة ولم يقدم على فصله ثانية
 أبدا .. والآن يقابل شكاوانا بالاغراق في الاعتذار والملاطفة ، أنه
 يتحمل اللوم والتعنيف .. وأحيانا بعض الإصلاحات في سيارات
 العملاء .. لكنه يأبى أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك .
 اكمل سكان آخر :

— وفي القسم عجزت عن إثبات شيء ضده فآخذوا عليه
 تعهدا .. وخرج ثاني يوم ليجلس على الرصيف المقابل للعمارة
 وأخذ يتنادى صاحبة كشك السجائر والمثلجات الملاصق لها
 « ها أنذا يا أم شندی .. لقد حضرت فموتوا بغيظكم .. الله أكبر
 منكم .. عموما السجين الجذعان » بعدها .. ضاعت بعض الأدوات
 من سيارتي .. وعجزت أيضا عن إثبات فعلته ..
 — لكن هذه وقاحة شلابة ..

قاطعها ساكن ثالث :

— وبملطجة وقلة أدب وكل شيء .. ولكن ماذا علينا نحن ..
 الحل الوحيد ترك الجراج .. لكن ~~أحد المقيمين~~ .. كما لاحظت طبعاً
 العمارة في مكان ناء .. وأقرب جراج لها يبعد أكثر من كيلو متر ..

فمن منا يستطيع أن يقطع هذه المسافة على قدميه .. ذهابا وإيابا ؟
— يخيّل الى أنكم درتم كثيرا حول الحل السليم ولم تحاولوا
الوصول اليه .. الأمر يستلزم النظر الى ما هو أبعد من مواطن
أقدامنا .. ان النفس البشرية عميقة الأغوار .. وفي الاستطاعة دائما
إيقاظ الانسان في كل شخص .. ولو أردتم ..

قاطعه أحد الموجودين وقد شعر أن الدكتور يحاول أن يتفلسف
عليهم فيصدعهم بمحاضرة عقيم مهما حاول أن يختار لها الفاظا
رنانة طنانة .. قال :

— قرب موعد انصرافنا ولم نصل الى شيء بعد ولن نصل، إذا
كان كل ما نستطيع أن نفعله هو الكلام .. أحس الأستاذ كامل بما
يخالج فكر الضيف المتذمر .. وبأن هذا هو تقريبا شعور جميع
الموجودين .. فأسرع يوضح لهم :

— نسيت عندما قدمت لكم الدكتور أحمد أن أذكر أن تخصصه هو
علم النفس من أكبر جامعات أمريكا .. وأنه كان أول دفعته حتى أن
الجامعة طلبته ليكون ضمن أعضاء هيئة التدريس بها لكنه اعتذر ،
هو لم يقل لي شيئا من ذلك .. لكن عددا من جرائدنا ومجلاتنا نشر
العديد من الأخبار والمقالات المدعمة بالصور عن تفوقه وامتيازه ..
ونبوغه وعبقريته للدرجة التي أصبح معها حديث المجتمع الراقي
والأوساط الطبية هناك على السواء .

صاح بعض الحاضرين :

— أه .. نعم ..

— حقا .. لقد تذكرت هذه المقالات .

— منذ دخوله وأنا أتساءل أين رأيتة ؟ والآن تذكرت ما كتب

عنه .

وقال أكثر من واحد باهتمام شديد :

— هيه .. ماذا كنت تقول ؟؟

فجأة تطلعت اليه الأعين فى لهفة منتظرين ما سيتلفظ به الى أن قال الدكتور أحمد وهو يغضى حياء :

— أقصد أن هذا الشخص مريض وليس مجرما .. تشعرون أنه وضيع للدرجة التى وصفه معها الأستاذ محمود بالحشرة الحقيرة .. وكل تصرفاتكم تنشى بذلك .. حتى عمقتم فى نفسه الشعور بالضعفة .. إنه لا يحاول أن ينتقم .. لكنه يريد أن يشعر بنفسه .. بآدميته .. عن طريق امكانيته الوحيدة .. ورأى أن نعامله كادمى .. وليس كحشرة .. !

— قلت لك إننى ذات مرة عاملته بلطف مع ذلك .. قاطعه :

أجل .. يوم ناديته بالأستاذ ؟ .. لقد شعر - وكان ذلك واضحا جدا - أنك تسخر منه فأنت تعلم تماما كما يعلم هو .. انه ليس أستاذا بالمرة ! هذه الحالة تروقنى .. هل تتركونه لى ؟ ستكون هذه أول حالة أباشرها فى بلدى .. !

ورحب الجميع .. ومن ثم التفوا حوله يسمعون نصائحه وتوجيهاته .

وبدأ الدكتور علاجه من فوره ، كثير من جيرانه ضحك ووصفه بالسذاجة . قال أحدهم لجار آخر :

— أهذا كل ما هناك .. عندما يجد سيارته غير نظيفة يعتب عليه بهدوء ثم يروح يمازحه ؟ ! .. كلنا عاملناه هكذا أول الأمر .. وربما لهذا طغى واستأسد ..

— لا ولا تنس أحاديثه معه فى السياسة والكرة مع السيجارة اليومية الفاخرة .. !

— لم يبق إلا أن يحدثه فى آخر المذاهب الفنية .. ويسأله عما إذا كان يفضل الأدب التقليدى أم أدب العبث .. !

رغم كل سخريتهم .. فانهم عملوا بالمثل القائل « خليك مع علم النفس حتى باب الجراج » ، لكن النتيجة جاءت رائعة .. اذهلت الجميع .. حتى الدكتور ذاته ! لم تمض شهور إلا وكان زكريا شخصا آخر .. شخصا آخر بالمرة .. لا يمت لزكريا القديم بأية صلة .. ليست تصرفاته فقط هي التي تغيرت .. بل كل شيء فيه .. حتى طبقة صوته .. اصبحت منخفضة .. واختفت من عينيه نظرة التحدى الوقحة .. !

نتيجة فاقت توقعات اشد الجيران تفاؤلا وتحمسا .. وفاقت آمال الدكتور نفسه ، إن كل ما كان يامله أن يكف عن خدش السيارات ويهذب بعض الشيء من خشونته اما أن يحدث الجميع بكل ذلك الاحترام .. اما أن يعرف مواعيد نزول السكان ويحرص على تنظيف سياراتهم وتهيئتها قبل تلك المواعيد ، اما وأما وأما .. كل ما أصبح عليه زكريا من دماثة وهمة واعتناء بعمله .. وصل الى درجة التفانى فيه فذلك ما لم يطمع فيه أبدا ، ولو أن الجيران لم يعهدوا اليه بعلاج زكريا فقط .. وانما حولوه الى عجيبة طبيعة القوا بها بين يديه .. ليشكلها على هواه .. لما استطاع أن يشكلها على صورة افضل مما صار عليها .. !

~~أصبح كل جار يلتقي به يشد على يده مهنتا .. وتوالت عليه~~
اللقاب « أهلا بالبطل .. المنقذ .. صانع المعجزات .. ! » أحدهم همس اليه :

— هل تستطيع أن تفعل مثل هذه المعجزة مع زوجتي !!
اما الدكتور احمد فكان يعيش أجمل وأحلى أيام عمره .. سعيدا بهذا النجاح الساحق لأول حالة يتولاها في مصر .. وينظر الى المستقبل فيجده باسماء مורقا .. فإنه رغم النجاح الكبير الذي حققه على مدى عشرات الحالات التي تولى علاجها في الخارج .. سواء وحده أو تحت إشراف أساتذته منذ عام البكالوريوس حتى حصوله

تغلى درجة الدكتوراه فانه كان متهيبا للغاية ممارسة العلاج مع أبناء بلده .. أمر قد لا يحسه سوى الأطباء النفسانيين فالأجساد بكافة أجهزتها وعملياتها البيولوجية لا تكاد تختلف اختلافا يذكر ما بين دولة ودولة .. اما العلل النفسية فانها ترتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة والطباع والتقاليد والقيم والاهتمامات الخ الخ .. وباله من بون شاسع بين كل ذلك في مصر ونظائره في أمريكا ، من أجل هذا كان يخشى الا تحقق النظريات التي درسها هناك نفس مفعولها هنا ، لذلك كان لنجاحه مع زكريا نفس طعم نجاح الطالب الصغير في امتحانه الأول .. !

ويبدو أن تحيات جيرانه الفردية لم تكفه فانتزه أول مناسبة .. عيد ميلاد طفله الوحيدة نانسي - ودعا جميع جيرانه الى فنجان شاي في شقته .. كانت ليلة رائعة من جميع الوجوه .. الجو ربيعي منعش .. زهور المشمش الفواحة عطرت الجو بسبخاء كأنما عشرات من زجاجات العطر الثمينة قد سفحت تحت أقدام نانسي الغالية .. حتى القمر أبى إلا أن يشارك في بهجة الليلة فأكمل بدرا يغمر بأشعته الضوئية أرجاء الكون ، الموائد مدت بطول الصالة وقد حفلت بما لذ وطاب تحت سقف زين بالبالونات والأوراق المذهبة والمفضضة التي تدلت في تشكيلات بديعة .

وبينما الطبيب البارع مع ضيوفه منتشيا بكلمات الاطراء التي اغدقوها عليه وقعت زوجته في أشكال ، رغم كميات الحلوى التي استحضرتها فان عدد الضيوف قد فاق كل ما توقعته وما جهزته .. وأسرعت ترسل شغالتها الى محل الحلوى لتأتى بالمدد ، ويقرب موعد افتتاح البوفيه ولم تحضر الخادمة بعد فتسر لزوجها :
— المحل بعيد .. ألا تذهب اليها بالسيارة لتسرع بالحلوى ؟

لكن الزوج يرفض أن يترك ضيوفه أو بالأحرى يرفض أن يترك الحلبة التي كان فارسيها الأوحده وبطلها بلا منازع ولو لدقائق .

فى الحقيقة لم يكن بعد المحل هو سبب تأخر جمالات ولكنه ..
زكريا !! تتبعها حتى انتهت من الشراء ثم اعترضها بعيدا عن المحل
والمارة ليقول لها :

— اسمعى .. لم أعد أطيق الانتظار على بعادك أكثر من ذلك .. ان
حبى لك يزداد يوما بعد يوم .. ولن تستطيع قوة أن تمنعنى عن
طلبك من سيدك الدكتور غدا .

— عندما كنت أطلب منك الانتظار كان ذلك لصالح حبنا .. حين
سكننا العمارة حديثا كان الجميع يقولون عليك .. (وش أقسام)
مثير للمشاكل .. الخ الخ .

— واستطعت أقناعى بالتريث حتى اكتسب ثقته .. وحسنا
دبرت ، أنا من جهتى فعلت كل ما يمكن أن يوصلنى لذلك .. عربات
السكان كلها كوم وعربته كوم آخر وحدها .. هى عروس الجراج
بحق نظافة ولمعانا وضياء ، أكثر من ذلك فكم تحملت من سخافاتى ..
يحدثنى عن الانتخابات فى بلاد الانجليز والمنافسة بين حزبين
أحدهما اسمه العمال والآخر المحافظون . وغير ذلك من موضوعات
غريبة .. بالله عليك ما شانى أنا وهذا الهراء ؟ ! لكنى دائما أسايره
وأبدى اهتماما بما يقول بل اننى أرضيت - أيضا - جميع أصحاب
السيارات بالجراج .. من ناحية كى أحصل منهم على بقشيش كامل
وزيادة فاستطيع جمع المهر فى فترة أقل .. ومن ناحية أخرى حتى
لا يجرنى أحدهم الى القسم فأصبح فى نظر الدكتور غير جدير بك ..
خاصة وقد علمت أن والدته هى التى ربك وأنه يعتبرك بمثابة قريبة
عزيزة يضمن بها على من لا يراه صالحا .

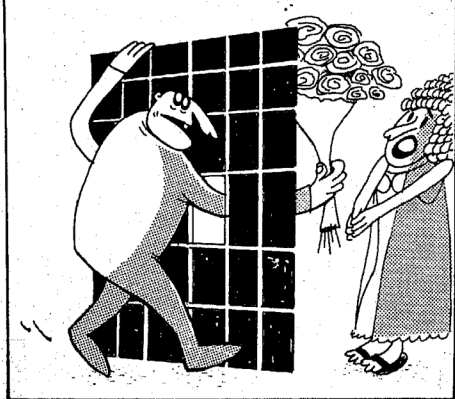
— نعم .. وكم رفض خطابا لم يقتنع بهم .

— أنا لن يرفضنى .. لن يسمع عنى كلمة سوء واحدة من أى
جار ، أنك لم ترينى من شهور .. كنت أعطى الجميع فوق ادمغتهم ..
وكلما كلمنى أحدهم كلمة .. رددتها له عشرأ .. حبك بدلنى تماما ففى

سبيل الوصول اليك غيرت كل طباعى .. الآن أصبحت أعامل الكل ..
المتعجرف والردل والجعجاع .. و « أبو جنونه » .. أعاملهم جميعا
باحترام .. وكل ذلك من أجل خاطرك وسواد عيونك يا ضى عيني !
حسنا إذن فعل الدكتور أحمد طاهر عندما رفض مشورة زوجته
ولم يذهب خلف جمالات .. من يدري .. ربما لو فعل .. لسمع حديث
زكريا لها .. أو بعضا منه ولما استمرت - بالتالى - سعادته ببقية
الحفل الشائق ، وهكذا .. الاسم لطبيب علم النفس العظيم ..
والفعل الحقيقى للطبيب الأعظم .. الحب .. !



HEFFAT
عن



باقية زهور جميلة

اتصل بي صديقي الأثير جدا .. محمود
عبد الفتاح .. ليدعوني والأسرة إلى حفل عيد
زواجه الخامس عشر ، وأفهمته اننى أعانى من
نزلة برد خفيفة .. قد تعوقنى عن الحضور .. وإن
كنت قد أكدت له أن « سهام » - زوجتى لابد
ستحضر الحفل .. مصطحبة ولدى .. أحمد
ومنى ، لكن محمود احتج بشدة :

من غير المعقول أن يكون هناك احتفال وأنت عنه غائب ! ، ماذا
سيكون طعمه ؟ .. لن يكون له بهجة ولا حبور ، أسمع .. خطرت لى
فكرة .. سأؤجل الحفل أسبوعا واحداً حتى تتماثل للشفاء ..
صحت فيه :

— معقول هذا يا محمود ؟ ! ، وباقي الأصدقاء والأقارب الذين
دعوتهم بالفعل ؟

— لا عليك .. سأحدثهم مرة أخرى لأخبرهم بالموعد الجديد .
— لا لا .. لا أجد داعياً لكل هذه « الربكة » والمعاناة ، عموماً
مازال باقياً على موعد الحفل الأصلي أربعة أيام .. وغالباً ستكون
نزلة البرد قد تحسنت كثيراً .. ومن ثم فمن المؤكد اننى سأستطيع
الحضور .

وضعت سماعة التليفون وأنا أضحك سعيداً بمحبة محمود لى
وان خالطت سعادتى مرارة .. كل مرة أشعر فيها بإعزاز محمود
يطوقنى .. 'خجلاً من خطئى الشنيع فى حقه .. منذ أعوام طوال ،
لدرجة اننى فكرت أكثر من مرة أن أعترف له بفعلى .. فى محاولة
لإراحة ضميرى مما يثقله .. والتخلص من ذلك العذاب الذى ادخرته
طويلاً فى دهاليز أعماقي المظلمة ، لكنى فى كل مرة .. كنت أعود
وأجبن عن البوح .. متعللاً بعدم وجود أى جدوى يستفيد منها محمود
من اعترافى ، المحصلة الوحيدة لهذا الاعتراف .. ستكون فى
تقويض أواصر الصداقة بينى وبينه ! ..

تلك الصداقة النادرة التى استمرت عشرات السنين .. فحتى
اليوم .. مازالت العلاقة على أشدها بينى وبين محمود .. كما كنا
ونحن نخطو طريق الحياة منذ بدايته .. معا . بل ربما تكون ازدادت
توثيقاً .. بعد أن جمعت الصداقة الوطيدة والتفاهم العميق
والمحبة الخالصة بين زوجتىنا ، حتى ابنائى .. أصبحوا أصدق
الأصدقاء لابنائهم .. لدرجة أنهم لا يكادون يفترقون يوماً واحداً .

خاصة وقد وجدت بينهم هوايات مشتركة .. مما ذكرنى بنفسى
ومحمود عندما كنا فى مثل عمر أولادنا ..

جمعت بيننا الجيرة أولا .. ثم الدراسة بمختلف مراحلها .. حتى
الثانوية العامة .. حين ظننا أننا أخيرا سنفترق ، حيث بدأ واضحا
ميله للمحاسبات .. لذا كان أمله أن يلتحق بكلية التجارة .. فى حين
تمنيت أنا أن ادخل كلية الهندسة ، لكن مجموعى جاء مخيبا لآمالى ،
ورغم ذلك لم نتمالك نفسينا من الضحك عندما جمع مكتب التنسيق
بيننا فى كلية التجارة .. فعندنا نتزامل مرة أخرى ! ..

ولما كنا نذاكر معا .. فانه لم يكن مستغربا أن تكون نتائجنا
متشابهة فى أغلب المواد ، حتى بعض المواد الصعبة كنا نتخلف
فيها معا ، وكان هذا الاتفاق العجيب يثير ضحكنا وسرورنا ..
شئ واحد لم يسعدنا قط اشتراكنا فيه .. حيناً لزميلتنا
« سهام » ، عندما وصلنا للسنة الثالثة .. التحقت سهام بالسنة
الأولى بنفس كليتنا ، كانت شعلة من المرح والحيوية .. حتى أنها
اشتركت فى العديد من الأنشطة الرياضية والثقافية بالكلية ..
ولاول مرة فى حياتى أشعر بنبضات قلبى خفاقة مترنمة . تحب
فتاة حبا حقيقيا وليس انجذابة عابرة كمثل سابقاتها ، ومضيت
انسج الأمل وأنا أحاول التقرب منها فى بعض رحلات الكلية
أوحفلاتها .. وشغلتنى هذه المحاولات حتى ابتعدت قليلا عن
صديق العمر محمود .. لأكتشف بعد فترة - وبالهول ما اكتشفت -
انه هو بدوره غارق حتى أذنيه فى حب فتاتى .. التى بنيت على
حبها كل أحلامى !! ..

وكانت القطيعة الأولى بيننا .. بعد أن صورته لنفسى بالغادر
والجبان الذى لا يرضى للصداقة حرمانها .. رغم تأكيدى التام انه
لم يكن ليعلم قط أى شئ عن مشاعرى تجاه سهام .. حين اتجه
بمشاعره هو إليها .. لكن يبدو أن للقلب منطقا هيات للعقل أن
يفهمه !

بعد انتهاء توهج شرارات الغضب فى نفسينا .. كان لابد أن نلتقى عند لحظة مواجهة ، مع ذلك صحت فيه بانفعال :
— أنا الذى أحببتها قبلك .. لذلك وجب عليك أنت أن تنسحب بشرف ..

صاح هو بدوره :
— بل أنا الذى أحببتها من أول يوم جاءت فيه للكلية .. ولذا فعليك أنت الانسحاب ! ..

فللآن نتصايح برهة حتى توصلنا للحل الأمثل ، الغريب أنه خطر لكلينا فى نفس اللحظة .. قلت أنا هاتفًا :
— لقد نسينا شيئًا هامًا .. رأيها هى ..
فى نفس الوقت قال محمود : لماذا لا نسألها عن مشاعرها هى ؟ ..

عند ذلك لم نملك نحن الاثنين نفسينا من الضحك ، وانتهى اللقاء ونحن نتعاقق .. بعد أن هدأت أحاسيسنا ، نعم كلانا يحبها لكن الأهم من تحب هى ؟ ومددنا أيدينا نتعاهد .. لكل منا مطلق الحرية أن يحاول استمالتها .. فإذا استجابت لأحدنا .. كان على الثانى أن يترك الميدان بهدوء .

وكان هذا ما حدث فعلا .. عندما تجاوزت سهام مع عواطفى .. وصارحتنى بأنها تبادلى شعورى .. كف محمود فورًا عن جميع محاولاته معها .. بل وبارك حينًا ! ..

وإذا كانت الأمور قد سارت هكذا بسهولة ويسر فى شئوننا العاطفية .. فإنها لم تكن كذلك فى باقى شئون حياتنا .. خاصة الحالة السياسية بالبلد ؛ لم تكن ترضى أحداً ، الكل تأثر .. الكل ساخط .. الكل متذمر ! .. لذلك كثرت الجمعيات السرية بين الشباب عامة .. والطلبة على وجه الخصوص ، وإن كانت الأغلبية قد اكتفت بمحاربة الطغيان بقلوبهم .. لا عن ضعف فى الإيمان .. ولكن

لأنصرافهم للدرس والتحصيل .. اقتناعا منهم بأن الحصول على شهادتهم - أو سلاحهم - أولا .. ثم محاولة إصلاح الخلل بعد ذلك .. أفضل لهم ولبلادهم .. ضمن هذه الأغلبية كنت أنا ومحمود .. ألم أقل من أول الأمر أن أفكارنا واتجاهاتنا كانت دائمة متوافقة ؟ لكن بعدنا عن هذه التنظيمات لم يعصمنا من التعرض لبطش البوليس السياسى ، الذى كان على ما يبدو يقبض على الطالب منا أولا .. ثم يتحرى عنه بعد ذلك !!

فجأة وجدتهم يقبضون على ويرحلوننى إلى أحد المعسكرات وتمر الأيام ولا أحد يحقق معى ، ويبدو أنه لم يكن كافيا لعذابى حزنى على العام الدراسى .. الذى أوشك أن يضيع علينا ، إذ بدأ القلق على سهام يفرى قلبى .. ويذود النوم عن عيونى .. أكبر ما كان يقلقنى خشيتى من صديقى ومنافسى اللدود محمود .. اليس محتيلا أن نجد الجو قد خلا له فيعاود محاولاته معها ؟ ، وحتى إذا اعتصم محمود بحبل الشرف والوفاء فالخطر يظل قائما .. من جهتها هى ، خاصة ولم يكن بينى وبينها أى ارتباط بعد .. سوى الوعد ، طبعاً بعدى عنها سيشعرها بالوحدة .. والوحدة قاتلة .. ويحتمل أن تدفعها للبحث عن ملاء فراغ أيامها .. ولماذا تبحث ومحمود موجود ؟ ..

كاد هذا الخاطر يصيبنى بالجنون .. حيث راح يتمثل لى ليلا ونهارا .. وكل لحظة فى أوقاتى .. ومماذا كان عندى يشغلنى غير التفكير ؟ .. وإلى أى منحى يتجه التفكير سوى لحبيبة القلب ؟ .. بل يبدو أن التفكير قد انتهى بى إلى الجنون فعلا .. حتى أقدمت على تلك الفعلة الحقيرة .. التى مازالت تؤرقنى حتى اليوم ، فرغم شكرى الكبير لله أن كل شيء قد انتهى على خير ما يرام .. إلا أن ضميرى كثيرا ما يلذعنى بأنه كان من المحتمل أن تترتب على فعلتى هذه كارثة .. ربما أوتيت بمستقبل صديقى .. أو معنوياته .. وحتى

حياته فكـم سمعنا وقرانا بعد ذلك عن مأس حدثت لشباب مظلوم ..
لكنى لحظتها لم أفكر فى شىء سوى إبعاد محمود عن طريق
سهام كلية .. خشية أن يستطيع استمالتها فى غيبتى ، لذلك فأننى
فى أول تحقيق أجرى معى - وان نفيت اشتراكى فى أية تنظيمات -
أجبت عن المكان الذى اجتمع فيه بأصدقائى إنه .. بيت محمود ! ،
وهى تهمة يعرف خطورتها كل من لديه فكرة ولو بسيطة عن الجو
الذى كان سائدا أيامها ..

خدرت ضميرى . بانهم لا شك خلال بحثهم وتمحيصهم ستتبدى
لهم براءة محمود .. فى نفس الوقت الذى تنكشف لهم فيه براءتى ..
فيفرجون عنا معا وبذلك - وهذا هو المهم - لا « يستفرد » محمود
بسهام ! ..

نتيجة فعلتى عرفتها بعد ذلك بأسابيع .. من محمود نفسه ، الذى
جاء يزورنى فى الحجز ، لم يقبض عليه ! ، نعم خاب تدبيرى لسبب
لا دخل لى فيه ، ربما كان سببه نية محمود الطيبة .. وصفاء قلبه من
شوائب الحقد ..

لذلك قيض الله ضابط شرطة وطنيا .. يتمتع بحس إنسانى
عميق ، فرغم أن تفتيشه للشقة لم يسفر عن وجود أى شىء يدينه ..
إلا أن أمر النيابة الذى يحمله .. كان صريحا بإلقاء القبض على
محمود ، وترحيله إلى حيث يستكمل وكيل النيابة التحقيق معه فى
الصباح التالى ، وكاد محمود ينهار وهو يذكر للضابط أن امتحانه
يبدأ فى صباح الغد .. وأن اصطحابه إياه يعنى ضياع تعب العام
كله هباء منثورا ..

هنا حدثت المعجزة .. رق له قلب الضابط .. وبحسن تصرفه
توصل إلى حل سعيد ، حيث اتصل بوكيل النائب العام فى منزله ..
ليعرض عليه أن يتولى هو التحقيق مع المتهم وعندما رأى الوكيل
اهتمام الضابط بمستقبل الطالب المتهم .. لم يرد أن يكون أقل ..

إنسانية ، من ثم وافق على الفكرة .. على أن يملأ عليه الأسئلة
تليفونيا .. حيث يوجهها للمتهم .. ثم يبلغ الوكيل برودوه عليها ، بل
وتطوع بأن يكتب هو بنفسه الأسئلة والأجوبة .. لعدم وجود كاتب
نيابة معه بالطبع !!

وهكذا تم أعجب محضر .. ربما فى تاريخ التحقيق القضائى
كله ، بل وربما لم يخطر حتى لمؤلف تليفزيونى ، بإجابات محمود
اقتنع وكيل النيابة ببراءته التامة .. وعدم وجود أية أدلة على
انتمائه لآى تنظيم ، لذلك أصدر أمره للضابط بالإفراج عنه فوراً ..
أو بمعنى آخر بتركه فى منزله وعدم اصطحابه للحجز ..

الحقيقة رغم فشل خطتى إلا أن براءة محمود قد أسعدتني -
حيث لمت نفسى كثيراً بعد شهادتى عليه فما كان منى إلا أن قمت
إليه وقبلته مهنئاً بنجاته من الاتهام ، وأنا أعزى نفسى باننى على
أى الأحوال لن أحصل على أكثر مما قسم لى ، فإذا كانت الأقهار قد
قضت أن تكون سهام من نصيب محمود .. فلن تبعدها عنه خطط
الدنيا كلها ! ..

على أن محمود - الذى لم يشك قط فيمن دل عليه - كانت أخلاقه
أرفع كثيراً من أن ينتهز فرصة غياب صديقه ليستولى على فتاته ..
على العكس .. كرس كل جهده من أجل القيام بخدمات لى وقضاء
بعض مصالحى ، بل وكان خير رسول بينى وبين سهام .. التى كان
يبث فيها روح الشجاعة .. حتى لا تفقد الأمل فى خروجى بريئاً ..
وبالفعل .. لم يجد المسئولون أى مأخذ على .. فكان أن أفرجوا
عنى ، ويستخف محمود الفرح بخروجى .. فيعلن عن عزمه على
إقامة حفل كبير لإتمام خطبته إلى « هناء » .. التى كان قد ارتبط
معهما بقصة حب رقيقة .. لكنه كان يرفض إتمام الخطبة .. مادمت
غائبة خلف القضبان ..

× × ×

وإذا كان ضميرى لم ينس حتى اليوم .. ولم يغفر غلطتى فى حق صديق العمر .. رغم أنها لم تتم .. فماذا عساه كان يفعل بى .. لو أن محمودا قد اعتقل وعذب وأهين .. وإيضا ضاعت عليه السنة بسببى ؟ .

لذلك لم يكن غريبا أن أسأل عن اسم ضابط الشرطة الشهم .. الذى أنقذ محمود ليلتها - فأنقذنى بالنالى - كى أسجله عندى ، ثم انتهز فرصة نشر خبر ترقيته لمنصب هام .. فأرسل إليه باقة زهور كبيرة .. مرفقا بها بطاقة تحمل أجمل التهانى وأطيب الأمنى .. لكنها خلو من أى اسم ، ويعتقد أنه مهما كانت براعة هذا الضابط البوليسية .. فإنه قطعاً مازال حتى اليوم .. يجهل اسم مرسل هذه الباقة الفاخرة .





88EFTAT
CME

سفر الجمال

مرة أخرى يحدث له ذلك . كان معه فى اتوبيس
الشركة العشرات شاهدوا ما جرى من اوله .. عدا
عشرات آخرين من السائرين تجمعوا من كل
صوب .. ولم يحدث لآى فرد من هؤلاء أو أولئك
ما حدث لفريد ! ..

ما الذى يجعل شخصا يختلف فى احساسه
أو ردود أفعاله أو حتى تصرفاته عن شخص آخر ؟ .. هل هى بعض
الصفات الموروثة .. أو المكتسبة عن طريق البيئة مثلا ؟
لكن ماذا عن شقيقى فريد ؟ لهما طبعاً كافة صفاته الموروثة .. كما
عاشا فى نفس بيئته .. بل حتى .. شقيقته .. عدا اتفاقهما معه فى
كل هذا فهما تزيدان عنه فى رهافة الحس ورقة الأعصاب الماثورة
عن الجنس اللطيف .. مع ذلك فإن أحدا من هؤلاء الأخوة والأخوات
الأربعة جميعا .. لم يحدث له هذا الأمر مرة واحدة !

عندما تكررت له هذه الحالة فى بداية شبابه .. ذهب به والده
لأكثر من طبيب فالطبيب الباطنى أشار باخر نفسانى .. نحن نبتدأ كافة
الفحوص والجلسات .. هن الطبيب الأخير كتفيه نافيا وجود أية علة
أو حالة نفسانية .

— لايزيد الأمر عن رهافة مشاعر .. وربما مع الأيام .. كلما صلب
عوده أكثر .. ربما تماسكت مشاعره أكثر .. لكن ها هو ذا يقترب من
السادسة والعشرين .. ولم تخف هذه الظاهرة الغريبة .. لا أحد
طبعاً يحب أن يكون متحجر المشاعر .. لكن أيضاً أن تصل رقة
الاحاسيس بشخص إلى درجة أن يغمر عليه لمجرد رؤيته الدماء فى

أى ظرف .. فإنه يكون أمرا سخيفا غير مرغوب فيه على الإطلاق ..
عندما حصل على الثانوية العامة بمجموع كبير .. هتفت أمه
بسعادة :

— الرغبة الأولى كلية الطب طبعا ..
واعترض أبوه :

— بل أأخر كلية ينبغي لفريد أن يلتحق بها هي كلية الطب فكيف
سيدخل المشرحة ؟ ..

لم يقف به الأمر عند حد الإغماء لمشاهدة دماء إنسان بل تعدى
ذلك للحيوانات .. كما شاهده بنفسه من أسابيع عندما صدمت
سيارة كلباً بالطريق .. بل اننى اعتقد أن ذلك سيحدث له إذا ما رآك
يوما تذبحين فرخة !

— لكن الطبيب قال : أن ذلك أمر سينتهى مع الأيام ، وطالب
الطب طبعا لا يدخل المشرحة إلا فى العام الثالث أو حتى الرابع ..
وإلى أن يأتى ذلك العام ..

قاطعها : الطبيب قال ربما ولم يقطع بذلك .. ولو أنه قطع باختفاء
هذه الحالة مستقبلا ، لما صدقته فمن ذا الذى يستطيع أن يضمن
أى شيء ؟ ومن ثم فإن التحاقه بكلية الطب بناء على هذا الاحتمال
مغامرة غير مأمونة فقد يضطر للنكوص بعد أن يضيع من عمره عدة
أعوام .

لم توافق الأم على هذا الرأى بسهولة .. استغرق الأمر من أبيه
أياما وأياما .. حيث كان فريد نفسه ميالا للأخذ برأى أمه ، لكن حمدا
له أن استطاع الوالد أخيرا اقناعهما باختيار كلية الصيدلة .. حيث
مرت أعوام الدراسة كلها حتى تخرج .. ثم عمل فى إحدى الشركات
بعد انتهاء تكليفه بالقوات المسلحة .. ومازال الأمر على ما هو
عليه .. بل وحتى ظهر اليوم .. عندما شاهد الحادث الذى أودى
بحياة شاب فى مقتبل العمر ، ويبدو أن الأقدار قد تعمدت أن يكون

هو فى مقدمة المشاهدين ، كأنها كانت تعرض مسرحية تراجيدية فاقعة .. واكراما له اعطته مقعدا فى الفتوى لوج ! .. مع أن جلسته يومها - خلال رحلة العودة - جاءت فى منتصف الاتوبيس .. الذى سار فى امان الله حتى اقترب من منزله ، قبل امتار قليلة ورغبة منه فى عدم تعطيل زملائه كثيرا .. قام من مكانه وأتجه إلى المقدمة .. وقف خلف السائق متأهبا .. لمدة ثوان ، ولم يكن باقيا على نزوله غير ثوان أخرى حين وقع الحادث ، ذلك الشاب الذى كان قد لمحّه من النافذة المجاورة لمقعده يسير بدراجته وهو يطلق من فمه صغيرا للحن شائع .. يرتضى فجأة بدراجته تحت عجلات اتوبيسه لتتناثر دماؤه على زجاج واجهته .. أمام انظاره تماما !

على ما يبدو .. أن الدراجة داست على زلطة صغيرة بالطريق فاختل توازنها وسقطت مائلة أمام الاتوبيس ، وما أسرع ما كان فريد يترنج .. لحسن حظه كان بعض الزملاء قد هبوا من أماكنهم ليستطلعوا الأمر فتلقفوه قبل أن يسقط على أرض الاتوبيس .. كم أخجله ذلك عندما أفاق .. ألا يكفى الهرج الذى سببه الحادث حتى يشغل الزملاء من حوله بحالته هو أيضا ؟

عندما بدأ يتمالك وعيه أعانه بعض أصدقائه على النزول من الاتوبيس متجهين به إلى منزله .. وهو يسير بينهم شاهد جثة الشاب وسط بركة من الدماء .. وقد تحطم رأسه .. فترنج مرة أخرى وكاد يغمى عليه ثانية !

لايستطيع أحد أن يقدر مدى اللهفة والجزع اللذين أحست بهما أمه .. عندما فتحت الباب لتجد ابنها محمولا من زملائه .. بعد أن كانت قد سمعت فرملة الاتوبيس الزاعقة .. وشاهدت من شرفتها تجمع الخلق ، فى فراشه راح يتنفّض بشدة وعرقه يسيل .. وهو يهذى بكلمات متقاطعة كالمحموم .

— غير معقول .. كان ممثلا بالحياة ، فى ثانية واحدة ؟ ما هذا

الإنسان ؟ .. يفعل كل شيء .. وأى شيء .. يتكلم يتحرك .. يقال .. يحب ، فى ثوان يصبح لا شيء .. كالتمثال ، لا .. التمثال افضل .. يستطيع صاحبه أن يحتفظ به حيث لا يتعفن وتصير له رائحة فظيعة ما هذا الشيء الذى يغادر جسد الإنسان ليصير هكذا ؟ .. ما كنهه ؟ بل ماكنه الحياة كلها ؟

هذا الشاب .. خرج لرزقه .. القفص فى مقدمة دراجته ملئ بعلب السجائر ، ودعته زوجته وأولاده .. وربما أمه .. دعت له بالسلامة .. لم تستجب السماء لدعائها كان يغنى .. كان سعيدا .. احضر لأولاده بعض الفاكهة .. ليفرحوا بدخوله عليهم لن يأكلوها تناثرت حبات البرقوق حول جثته .. البرقوق كان أبيض .. وبعضه الآخر يصبح برقوقا أحمر .. بعد ان تدرج ليغمس فى دمه .. كل هذا لان زلطة صغيرة اعترضت طريقه ؟ زلطة صغيرة تنهى حياة انسان ؟ .. حياة طويلة عريضة كم حلم صاحبها باعذب الامال .. زلطة صغيرة تغتال سعادة أسرة باكملها ؟ .. ترمل زوجة ؟ .. تيقم اطفالا .. تشكل أما ؟ .. آلاف الليالى سيقضونها وقلوبهم ملأى بالحزن المرير بسبب هذه الزلطة .. بل بسببها قد يمدون أيديهم قد ينحرف بعضهم . جاءت الزلطة فى توقيت محكم .. ولو أنها تأخرت مترا أو تقدمت مترا فربما اختلف الأمر .. لو عطلت الإشارة اتوبيسا ثانية واحدة أكثر ربما لم يقع الحادث .. لكنها إرادة الله .. لكن .. لماذا يريد القدر هذه الحوادث المؤلمة ؟ أهى تسلية ؟ .. ألم يكن يكفيه للتسلية أن يطير الشاب بعيدا فينجو وتكون علب السجائر هى الضحية الوحيدة ؟ ماذا فعل ذلك الشاب ؟ ما هى الجريمة التى ارتكبها لينفذ فيه هذا الحكم القاسى ؟ .. ما هذه الحياة ؟ .. ولماذا نحياها إذا كان مقدرا لها أن تنتهى هكذا فى جزء من الثانية ؟ .. أه .. أه .. استغفرك يا رب .. اننى لا اعترض .. لكن الحادث مهذل .. رغم انه يتكرر كل يوم مرات ومرات .. أه يا إلهى .. غابت

عنى حكمتك فسامحنى ..

أمه بجواره تلتقط حبات العرق من فوق وجهه بمنديل وهى تحاول تهدئته .. تربت خديه .. تمسح على شعره ترطب وجهه بالكلونيا . بعد ذلك أفاق فأسرعت تقدم له كوبا من عصير الليمون ، يبدو أن حادث اليوم كان مروعا بصورة أقسى من جميع ما مر به .. حتى أنها هى نفسها بذلت الكثير من الجهد فى محاولة أفاقته .

بعد الغداء جلست على كرسى بالشرفة تستريح قليلا وتلتقط أنفاسها ريثما ينتهى فريد من غسل وجهه .. سمعت أقدامه تتجه ناحية الشرفة فأسرعت تنظر لمكان الحادث بجزع ، خشيت أن تكون الجثة مازالت موجودة فيراها فريد .. تنهدت بارتياح .. رفعت الجثة من الطريق .. وحتى الدماء تطوع بعض فاعلى الخير بتغطيتها بالرمال التى استجلبوها من العمارة القريبة تحت التشييد ، لم يكن باقيا فى مكان الحادث سوى سائق الاتوبيس وبعض العاملين بالشركة .. ممن كانوا يركبون معه ساعة وقوع الحادث ... ثم عدد من ضباط الشرطة والمرور .. مسح فريد المكان بنظرة عابرة .. ثم تعلقت عيناه بالموقع وهو يتمتم بذهول :

— من هذه الفتاة ؟ .. ليست ضمن موظفات الشركة !

وتمعنت الأم لتجد فتاة حسناء تمسك أوراقا تكتب فيها .. ضحكت :

— هذه لابد صحفية .

عاد فريد يتساءل بدهشة :

— صحفية ؟ .. بكل هذا الجمال ؟

.. أن مجرد وجودها فى أى مكان حدث رائع مع ذلك تختار العمل فى صفحة الحوادث ؟ ! كان الأولى بها أن تعمل بصفحة الفن أو الأدب .. أو حتى صفحات المرأة أو الطفل .

فعلا كانت الفتاة رائعة الحسن بصورة نادرة .. رغم ظروف
تواجدها فى هذا المكان .. كانت تبدو فى تحركاتها هنا وهناك كأنها
تسير وسط مهرجان من البهاء والجمال .. قالت الأم :
— انها صغيرة جدا .. ويبدو انها فى بداية عملها .
قال فريد فى ضيق :
— رغم الجهد الذى تبذله فإن أحدا من شهود الحادث لا يحاول
مساعدها ...

الجميع يلتفون حول ضباط الشرطة .. ويبدو انهم - وقد
ضايقتهم هذه العطلة - يحاولون ان ينتهوا من الادلاء بشهاداتهم
حتى يعودوا إلى منازلهم .
فجأة أشرق وجهه .. هتف لأمه :

— اعتقد أن من واجبى ان ادلى بشهادتى بدورى .. لقد كنت أول
شخص شاهد الحادث حتى ابرىء السائق المسكين حيث رايت
بوضوح كيف انه قد فوجيء بالدراجة تتعثر لترتمى أمامه .
حاولت أمه ان تمنعه من النزول .

— مضت فترة .. ولابد ان التحقيق قد قارب الانتهاء ..

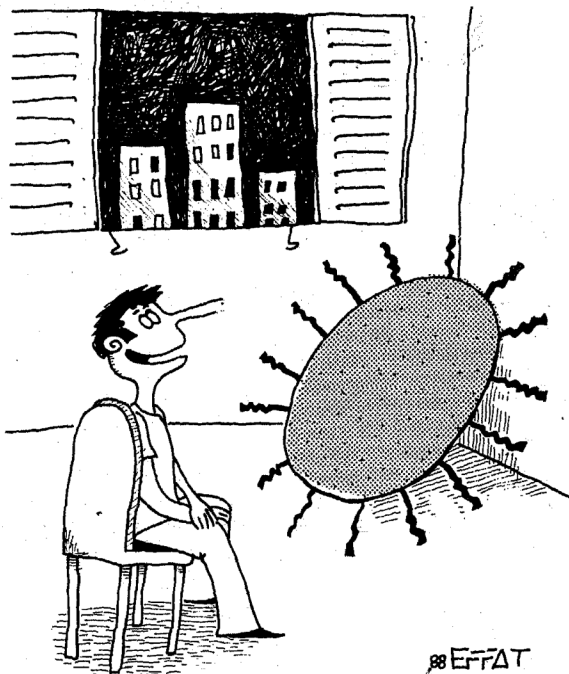
لكنه صمم على النزول .

— أيضا كى أعاون هذه الصحفية .. تعرفين ان عندى روح
المساعدة .. واضح ان الفتاة مازالت ناشئة .. فإذا عادت لرئيسها
بوصف كامل للحادث فلا بد أنه سيقدرها ..

لدهشة الأم فتحت فمها دون أن تتكلم .. وظلت على هذا الوضع
حتى رأت ابنها واقفا بجوار الصحفية فى الشارع .. تعرف ان عنده
روح المعاونة فعلا .. لكنها تعرف أكثر حرصه على الابتعاد عن
أماكن الحوادث .. فركت عينيه .. هل القى بنفسه من الشرفة ؟ حقا
ان شبقتهم فى الطابق الأول ولكن .. كيف استطاع فى أقل من دقيقة
ان ينزل الدرجات ويخرج من باب العمارة ؟

أخذت تتابعه بقلق وهو يشير بيديه ويتحرك يمينا ويسارا .
خشيت أن يعاود تذكر المنظر المفجع .. لكنها أطمأنت وهي تراه
يروح ويغدو بنشاط .. ويبدو أن حيوية الصحفية قد انتقلت إليه ..
ابتسمت لنفسها .. في آخر الأمر .. لا يد أن تتغلب غريزة الحياة على
رهبة الموت .. وسحر الجمال على روع البشاعة ، ازدادت ابتسامتها
عندما رآته يتجه مسرعا إلى كشك المرطبات القريب ثم يعود بمنتهى
الخفة ومعه زجاجتان مثلجتان ، ضحكت وهي تتمتم في داخلها :
— والله كلك ذوق يا فريه .. البنت فعلا بعد كل هذا الجهد
والعناء .. في هذا الحر اللافح .. في أشد الحاجة إلى شراب مثلج
قالت ذلك وهي تتذكر نفسها تسرع إليه بالليمون المثلج عقب
أفاقته .

★ ★ ★



EFFAT
عفت

فشار ۹۰٪

استيقظ أكثر من مرة .. فى كل مرة كان يوقد النور
ويستطلع الساعة . لم يطلع النهار بعد خطرت له
فكرة أفضل فتح شيش النافذة ورقد قبالتها .. بعد
أن ثبت عينيه عليها .. وكأنه يجذب بهما ضوء
الشمس الذى لا يريد أن يبرز وحده ؟ عجباً .. فى
أغلب الأيام ما يكاد يترك فى فراشه قليلاً ..
يتنأب ويتمطى بعد سماعه أذان الفجر حتى يفاجأ - عندما
يستطيع التغلب على النعاس ويقوم - بضوء الشمس يملأ الدنيا ..
فتضيق عليه صلاة الفجر حاضراً ، فما بالها اليوم تسوق دلالتها
وكانها تؤدي دور العروس فى مسلسل تليفزيونى بطيء الرتم ؟ ،
هتف :

— اقرضنى بعضاً من صبرك يا أيوب ! .

لم يكن قلقاً هكذا طوال الأسابيع الماضية .. منذ أنهى هشام
امتحان الثانوية العامة حتى أول أمس فقط ، كان مطمئناً تماماً أن
مجموع تسعين فى المائة يكفل لصاحبه دخول كلية الطب من أوسع
ابوابها وطبعاً هذا المجموع مضمون ، ولو أنه وجه كل ما بذل من
جهد ورتب من خطط ورسم من تكتيكات للصعود الى القمر لصعد ..
لكنه لا يريد الصعود للقمر .. فقط يريد لهشام أن يلتحق بكلية
الطب ، لا بد أن يدخل هشام كلية الطب .. لا بد .. لا بد .

من قبل أن تبدأ الدراسة جاء له بمدرسين فى جميع المواد حتى
المواد التى كان هو من الأصل متفوقاً فيها ، انضم المدرس لراى
هشام :

- لست اراه بحاجة إلى درس خاص .. فهو يسير معى فى
الحصة خطوة بخطوة .. ولا يفوته من شرحى شئ ..
ورد هو : إذن لياخذ الدرس كى يتفوق أكثر . كى يسبق الفصل ..
الدرجة الواحدة وأحيانا نصف الدرجة .. يمكن أن تؤثر بالسلب
أو الايجاب على دخول الكلية التى تريدها !

وعلم الله لم يكن ذلك أمرا سهلا فالمدرسون .. مربو النشء ..
ركبوا بدورهم موجة الغلاء وزادوا من أجورهم ، انه عام ، وعمد إلى
رفع ذات الشعار الغبى الذى رفعه المسئولون يوما « لا صوت يعلو
فوق صوت المعركة » ومن ثم تركوا مرافق البلد .. بل كل شئ فيه
يشكو الجفاء والاهمال ، ذلك طبعا بعد أن أضاف للشعار الغريب
جملة صغيرة « معركة الثانوية العامة .. سامى .. الابن الأصغر فى
الإعدادية . ان قدراته أقل من قدرات هشام ، وطوال دراستهما ولكل
منهما مستواه .. مع ذلك تواضع وطلب درسا خاصا فى مادة
واحدة .. يراها صعبة عليه .. لكن الوالد رفض :

— لا دروس هذا العام إلا لهشام .. وعندما تصل للثانوية
العامة .. أطلب ما تشاء !

حتى كسوة الشتاء لراندا الصغيرة . حبيبة امها وابيها ..
تقلصت إلى فستان واحد .. واكتشفت بعد البكاء الطويل انه كان
عليها ان تحمد الله كثيرا .. فبند الكساء بأكمله قد الغى بالنسبة
للأسرة كلها عداها وتتوالى بقية اللات .. لا مصيف هذا العام .
لاحكك فى عيد الفطر .. ولا خروف فى عيد الأضحى .
وكل قرار من هذه القرارات كان لابد بعد اتخاذه ان ينادى
« هشام » ليحيطه به علما ويأخذ منه التمام عنه :

— هيه .. لن أقبل منك أقل من ٩٠٪

— ان شاء الله يابابا .. أحيانا يكون الرد بحماس وأحيانا أخرى
بدون ذلك حسب حالته النفسية ويتغلغل الأب داخل تجاويف
دماغه :

— لاترد هكذا بتخاذل .. بل بثقة ! ..
سأفعل كل ما يوسعي يابابا .. والباقي على الله ..
ونعم بالله لكنك لابد ستحصل على ذلك المجموع كم كان مجموعك
فى شهادة القبول ؟

— سألتنى هذا السؤال مائة مرة ، تسعون وربع .
— وفى الإعدادية ؟

— تعلمه جيدا يا أبى .. تسعون ونصف
— حسنا هذا مستواك ، أبطال رفع الأثقال ورفع الجلة والوثب
العالى الخ الخ .. قدراتهم تكون معروفة مسبقا من قبل ان يلعبوا ..
اسمع اننى لن اناذك من الآن فصاعدا الا بذلك اللقب هشام ٩٠٪
هاها ..

وينفذ فكرته فعلا « افتح الباب ياهشام ٩٠٪ صباح الخير
يا هشام ٩٠٪ مساء الخير يا هشام ٩٠٪ ، المائدة أعدت ياهشام
٩٠٪ !! ، وتتوالى الضحكات أحيانا ونظرات الدهشة أحيانا أخرى
لكنه لايبالى . بل يزيد فى عملية الشحن ، يدخل يوما ليقول لهشام :
— هل تدرى من أين أنا قادم : من مدرستك .. لقد سألت الناظر
عن الاستاذ رياض البحيرى الذى يعطيك درس الرياضة فقال لى أنه
أحسن استاذ فى المدرسة فى مادته .. وأنه لم يحدث من قبل ان
حصل تلميذ أخذ منه درسا خاصا على مجموع يقل عن تسعين فى
المائة ..

بعدها بأيام يقول نفس الشيء عن استاذ مادة أخرى .. ثم عن
استاذ مادة ثالثة ثم باقى الأساتذة على التوالى ، بل لم يكن يتخرج
ان يقتحم عليه الدرس أحيانا ليسأل أحد الأساتذة :
— لا أخفى عليك أخبرت « هشام » اننى لن أقبل اقل من ٩٠٪ هل
تراه يستطيع تحقيق ذلك ؟

ولم تخرج ردود الاساتذة جميعا عن أن الطالب متفوق فعلا وان

تحقيق هذا المجموع - إذا ما وفق الله - ليس بعيدا ، رغم كل هذا الجهد الخرافي والمعاناة التي وصلت لدرجة الحرمان من شراء شيء لذاته موفرا للنقود للدروس الخاصة .. والحرمان من الخروج للنزهات أو لقاء الأصدقاء كي يتابع بنفسه ما استطاع تحصيله في تلك الدروس .. رغم كل ذلك لم يعدم من يؤاخذة أو ينتقد تصرفاته .. وان كان أغلبهم يفعل همسا . الوحيد الذي استطاع مواجهته كان حموه الصيدلي الكبير . أكثر من مرة قال له انه بهذا الضغط المكثف يضر بالولد .. ويرد عليه :

— لا أفعل أكثر من تشجيعه وبث الثقة في نفسه .

— كل شيء اذا زاد عن حده انقلب إلى ضده . بث الثقة عندما يزيد يصبح أقرب إلى غسل المخ .. انك تتبع ما يشبه اساليب النازي .. مما يجعلني اتساءل هل تلقيت تدريبا عمليا على أيديهم ؟! اترك الولد يتحمل مسؤولية تنظيم وقته ودروسه ولتعتدل أنت في متابعتك له .

لكن الاعتدال ، كان مطلبا عزيز المنال .. لم تكن أزمة حسونة وحده لكنها أزمة الكثير من الأسر أمام تراكمات من متطلبات العصر وحتميات الحياة .

عرف الاستاذ حسونة بعد ذلك لماذا كانت نصائح حميه هذه .. بعد انتهاء الامتحانات مباشرة قال له أمام زوجته :

— إذا أكرم الله « هشام » بهذا المجموع فعلا فأقترح أن يختار كلية الصيدلة

ويرد صارخا : الصيدلة .. الصيدلة ؟ هل هذا معقول ؟ ان الصيدلة مهنة معاونة لمهنة الطب .. فهل يحصل طالب على ٩٠٪ .. ويصبح في امكانه الالتحاق بكلية الطب فيتركها ويطلب الصيدلة ؟؟ واحتذ الأب :

— أولا الصيدلة ليست مهنة معاونة للطب بل الاثنان تكملان

بعضهما البعض ولا تقل أحدهما عن الأخرى . الأهم .. إذا تخرج هشام طبيباً فأمامه أعوام وأعوام حتى يكون نفسه ويفتح عيادة بينما صيدليتي موجودة .. وتعرف اننى سجلتها باسم « شفاء » ابنتى الوحيدة .. لكنها بعد وفاتى ستغلق أو تباع .. وهشام بها أولى . أشاح حسونة بيده :

— الله الغنى !

— عموماً لماذا لاتسأله ؟

— أجل .. نسأله .. ولم لا ؟

وجاء هشام .. وفى وقت واحد نطق الأب والجد :

— هل تفضل الطب أم الصيدلة ؟

— هل تحب أن تكون صيدلياً أم طبيباً ؟

وإدار الولد نظراته فيهما بتوجس فربت الأم على كتفه بحنان :

— أية كلية تحب أن تلتحق بها يا حبيبى ؟

أول مرة يسأله أحد ذلك السؤال .. وبمثل هذه اللهجة التى كان حنانها قد سرى داخل نفسه فزال صداً الأقفال التى وضعها عليها حتى كادت تنفتح تلقائياً وتخرج رغبته الحقيقية « كلية الفنون الجميلة » حيث ينمى هوايته ويصقل موهبته .. الرسم .. لكن نظرة واحدة لوجه والده المتحفز أقنعتة انها أمنية مستحيلة ، فعاد يعمل نفسه بانه يستطيع ان يمتحن الطب ثم يتخذ الرسم هواية .. وكم من أطباء نبغوا فى الموسيقى والأدب كالدكاترة يوسف شوقى ويوسف ادريس ومصطفى محمود .. بل والتمثيل ، فقال بصوت ألى :

— كلية الطب ..

قال الجد باحتجاج :

— لم أشرح له وجهة نظرى . عموماً هذا سابق لأوانه .. فمن يدرينا أنه سيحصل حتى على ٨٠٪ . وكان فى العام الماضى الحد الأدنى للصيدلة ؟

قال الأب بتحد : بل سيحصل على ٩٠٪ اننى لا اتكلم الآن من فراغ .. هشام كان يخرج من كل امتحان ليجدنى أمام باب اللجنة .. حيث أخذه إلى السيارة واطلب منه أن يعيد الإجابة عن الامتحان .. لم أكن انتظر عودته للمنزل بعد أن يلتقى بزملائه خارج اللجنة ويعرف منهم الإجابة الصحيحة .. فربما يذكرها لى على أنها إجاباته .. كنت أنا أفعل ذلك حتى اذا ظهرت النتيجة ولم أكن من المتفوقين علقت خطئى على شماعة التصحيح فيروح والذى يلعن المصححين قساة القلوب ! أما أنا فلم أترك شيئاً للاحتتمالات .. كنت أراجع إجاباته على الحلول النموذجية .. ومنها خرجت بأن نتيجة هشام - ومع توقع الشدة من المصححين - لن تقل عن ٩٠٪ . صاح الجد : لكن هذا مرهق له .. وخطأ كبير .. فدائماً حكمة الامتحانات الذهبية انظر أمامك ولا تنتظر وراءك .. حتى لا يحبط الطالب إذا أدرك أخطائه فيتأثر فى الأيام التالية .

— الحمد لله أن شيئاً لم يحدث . والآن اعتقد ان مستقبل هشام عندك اهم من أغراضك الخاصة فى المحافظة على الصيدلية .

بعد انصراف الجد واجهت شفاء زوجها بعتاب :

— لم يكن يليق بك ان تقول لوالدى أغراضك ..

— نعم أغراضه .. بعد إذلم تستطيعى أنت الحصول على

مجموع الصيدلة يريد ان يعوض فى هشام الابن الذى حرم منه .

— وماذا فى ذلك ؟ .. انه غرض نبيل .. أو على الأقل مشروع ..

إما أنت الذى بعثرت كل ما نملك على الدروس الخصوصية بسفه ..

قاطعها : بل كان هذا ادخاراً ثم استثماراً .. لم أكن أبعثر النقود

وانما كنت اضعها فى حصالة تفتحيتها آخر العام لتجدى الكنز

العظيم والجوهر المشعة المتلألئة .. مجموع التسعين فى المائة !

— وبعدها يجيء دور الاستثمار فيدخل كلية الطب ؟ *

— نعم لابد ان يدخل هشام كلية الطب .. لابد .. لابد ؟

— أعلم ذلك وأعلم أكثر أغراضك من وراء ذلك وهى على عكس
أغراض والدى .. أغراض مشبوهة .
سقط فكه مذهولا واستطردت هى :

— مازلت تحبها ؟

— عمن تتكلمين ؟

— ابنة عمك التى كانت شبه مخطوبة لك وانتما صغيران .. ثم
تقدم لها الطبيب اللامع بعد وفاة عمك ففضلته أمها عليك .. سمعت
من عجائز اسرتك ثثرة كثيرة حول ذلك الأمر والآن .. اتنكر أنك تود
أن ترى نفسك فى ابنك ؟ أن تجعله يعيش لا الحياة التى يريدتها هو
بل التى اردتها أنت وفشلت فى تحقيقها ؟

— غير صحيح .. هذا الموضوع ليس على بالى بالمرة .. المئات
والآلاف يتمنون لاولادهم هذه الكلية وإليك هذه الجريدة التى كتبت
فى موضوع عن التنسيق أن كليتى القمة فى القسم العلمى الطب
والهندسة .. وفى القسم الادبى الاقتصاد والاعلام .

— كلام الجرائد هذا هو الذى يزيد الأمر سوءا .. النبوغ
والطموح ليسا وفقا على كلية بعينها ففى الوقت الذى نجد فيه
اطباء مغمورين نرى بعضا من خريجي الحقوق أو التجارة وزراء
ورؤساء مجالس إدارة شركات .. هذا عندما يتوافر للخريج الطموح
والعزيمة والمثابرة .

ولما كان من خريجي الحقوق لكنه لم يلمع فقد وجد أن الحوار
سيتطرق إلى مناطق حساسة تزداد سخونة كلما مضيا فيه فأراد أن
يغير اتجاهه الى المزاح .. تأوه وهو يمسك بظهره :

— ترى ماذا كنت تفعلين بى أكثر لو لم يكن اسمك شفاء ؟

الأترين جسمى وقد وصلت إلى هذه السن قد امتلأ بالأمراض وأريد
طبيباً من صلبى يعالجنى ؟

أول أمس فقط .. وعقب قراءته لخبر صغير نشر بالجريدة

الصباحية بدأ يحس كما لو أن اطمئنانه الكبير هذا قد راح يتسرب من بين يديه .. الخبر يقول ان نقيب الأطباء وقد رأى الزيادة الكبيرة لاعداد خريجي كليات الطب حتى كادت تحدث بينهم بطالة ، بذل مساعيه حتى حصل علي موافقة عمداء هذه الكليات على تخفيض اعداد المقبولين بها بنسبة الربع .. واردفدت الجريدة ان هذا سيؤدى - حتما - إلى ارتفاع الحد الأدنى لهذه الكليات ، وأحس بقلبه يهبط إلى قدميه اللتين بدأت الأرض تهتز من تحتها .. أصبح أذنه أكثر من ٩٠٪ يضع كل ذلك الجهد .. بل كل شيء هكذا بجرة قلم ؟ كيف يقول النقيب ذلك ؟ .. هل زار الكفور والنجوع ورأى مرضاها قد شفوا جميعا ولم تعد - ومعنا جميع البلاد العربية التي تحتاج معونة خريجين - في حاجة إلى أطباء ؟ أم أنها رغبة النقيب في الاحتفاظ للأطباء الحاليين بأجورهم الباهظة ؟ عاد يراجع نفسه .. هي سياسة في صالح الأطباء يفهمها نقيبهم أكثر مني قطعاً .. ولكن ألم يقتنع العمداء بهذا الرأي الذي ينادى به النقيب من سنوات - كما تقول الجريدة - إلا هذا العام ؟ عندما وصل هشام إلى عتاب الكلية المرموقة ؟ .. اترده إذن خائبا على أعقابهِ وتغلق من دونه أبوابها ؟

ويعود الأمل يخيله قيبتلع ريقه عندما يتذكر أنه عندما كان يراجع اجابات هشام كان يفترض الشدة في المصححين ، ألا يكون متشائما والمصححون أكثر تساهلا ؟ لو كان ذلك لوصل مجموعه إلى ٩٢٪ يجب أن يكونوا كذلك .. هم إباء قبل ان يكونوا مدرسين .. ألا ليتهم يغلبون جانب الرأفة والرحمة على الدقة والتشدد ! أخيرا أفلحت الشمس في الإفلات من ذلك الحصار الذى ضربته حولها شبورة الصباح .. نظر في ساعته فوجدها تقترب من السابعة .. بدأ يتميل .. لقد أكد له شقيقه المدير بالتربية والتعليم انه يستطيع ان يحضر له النتيجة من مديريته قبل تعليقها في

المدارس بساعات ، رن جرس الباب فأسرع يقفز من فراشه وقد انقبض قلبه .. لم تكن دقة الجرس تشبه الزغرودة الطويلة المججلة كما توقعها . وانما كانت دقة صغيرة خافتة كان يدا قاسية تبتريها قبل ان تبدأ ، قال العم وصوته مندى بقطرات الأسى المرة المذاق :

— لا أدري كيف حدث هذا فافتراض الشدة فى التصحيح لا ينطبق لأن العديدين قد حصلوا على مجاميع عالية ، أيضا فكرة الخطأ فى الجمع غير واردة على الإطلاق... حيث يراجع الورقة الواحدة خمسة مراجعين والتفسير الوحيد ان « هشام » عندما كان يجيب على الامتحان فى سيارة والده - وقد راجعت هذه الاجابات بنفسى - كان فى حالة هدوء عصبى تختلف عن حالته داخل اللجنة .. التى اعتقد انها عكست عليه رهبة وقلقا وتوترا شديدا ، ربما وصيل درجة التوجس والهلع ، لكن حتى هذا لا يبرر الفارق الكبير بين ماتوقعناه وبين السبعة والخمسين فى المائة التى حصل عليها .. أه يا إلهى .. حمدا لله ان توقعات مسبقا ما حدث الآن لشقيقى المسكين حسونة فاحضرت معى زجاجة النوشادر !



مطلوب على وجه السرعة

- ١ -

استيقظ كبير العسس ليجد خيوط الشمس الذهبية قد بدأت تلون غرفته .. دهش لتأخره ، أسرع يرتدى ملابسه . على السلم قابل جاره .. عجب لمنظره .. وجهه ملئ بالشعر الكثيف كحيوانات الغابة .. وقد تدلى على جانبيه فمه نابان طويلا !! ، كان أول ما خطر له أن يأمر بالقبض عليه وحبسه خشية أن يؤذي أحدا .. كما يوحى منظره ، لكنه تردد .. غير معقول أن يقبض على جار صديق .. تقدم منه .. سأل بهوجل :

— هل أحضر لك طبيبا ؟ ..

بدت على وجه الجار الدهشة .. رد باستنكار :

— طبيب ؟ .. لى أنا ؟ ! .. لماذا ؟ .. من قال إنى محتاج إلى

طبيب ؟ خجل كبير العسس أن يواجهه بالامر .. يكفيه ما هو فيه من هم بسببه .. فلا ذاعى لأن .. يزيد مرارته .. وليتظاهر بأنه لم ير شيئا شاذا ، همهم بكلمات غير مفهومة ومضى لحال سبيله ! ..

على باب الدار قابل البواب .. كادت عيناه تخرجان من محجريهما كان يغطى وجه البواب نفس الشعر الكثيف .. وايضا تدلى من جانبيه فمه اللابان الطويلان الملتويان ! ، تقدم منه .. هم بسؤاله .. عاد وعدل ، البواب فى سن والده .. من غير المعقول أن يجرحه ..

ذهب إلى عمله .. وجد مساعده الشاب قد سبقه .. كان يحدث فئاته تليفونيا وهو يضحك عاليا ، ما كاد يلتفت إليه حتى كاد يصرخ .. أين ذهب الوجه النضر الجميل .. ليحل محله وجه الغوريلا الذى غطى وجهى الجار والبواب من قبل ؟ .. وايضا تخرج أن يصدم الشاب المقبل على الزواج .. وينبئه إلى هذه الكارثة التى ~~المت بها~~

بدأ باقى الزملاء يتوافدون .. وايضا أصحاب الشكاوى . جميعهم بدوا على نفس المنظر البشع ! ، لم يعد يدهش .. كثيرا ! ..

- ٢ -

المعلم يدخل المدرسة .. يفاجأ بتحول وجوه زملائه والناظر وجميع الطلبة إلى وجوه غوريلاات ، تبجيلة للناظر يمنعه أن يبدي له دهشته ، إعزازه للزملاء يثنيه عن سؤالهم .. يكفيهم حزنهم على أنفسهم .. كان ينصح تلاميذه بالتغاضى عند رؤية عيب خلقى او عاهة لدى شخص ما .. والا ينظروا إليه طويلا او يحدثوه عنها .

فهل يعلم الناس الذوق والقياسة ويخرج هو عليها ؟ .. كلا .. كلا ..
ينبغي تجاهل الأمر تماما .. جلس مع زملائه وقد أحاط نفسه بهالة
جليلة من الصمت البليغ الذى يغطى على كل الأصوات ، وقد اتخذ
من ابتسامته ستارة تخفى ما بداخله !! ..

- ٣ -

الأستاذ العالم البحاثة يذهب إلى معمله .. جميع من
يلتقى بهم امتلات وجوههم بالشعر وطالت منهم
الأنياب ، مع ذلك سكوتة حتمى .. كالموت ! ، المجاملة
تفرض عليه أن يمر على الموضوع من الكرام .. ظاهريا
فقط .. فى مواجهتهم ، لكن الأمر يحتاج إلى بحث كى
يضع يده على سر هذه المظاهرة .. ربما استطاع
معالجتها .

أول ما فكر فيه أن يكون للمواد الموجودة بالمعامل هذا التأثير
الخطير ، بدأ يتناول جميع الأنابيب ويحلل ما بها .. واحدة
واحدة .. لكنه لم يستطع الوصول إلى شيء ، أنهكه التعب .. قرر
أن يستريح باقى اليوم ثم يعاود البحث فى اليوم التالى ..
وهو فى الطريق رأى جميع السابطة على نفس الحال ! .. بدأ
يراجع حساباته .. ليبرىء المواد الكيميائية بالمعمل .. لا .. الأمر
أبعد من ذلك وأشمل ، ترى ما هو الشيء الذى يمكن أن يكون قد
تعرض له العلماء والعامه على حد سواء ؟ ، لا يوجد سوى ماء
النهر .. أيقون قد تلوث وحده لتفاعلات ما .. أم بفعل فاعل ؟ .. مثلا
إعذاء للبلد القوا به بعض المواد الغريبة ، على أى حال هذا
السؤال سابق لأوانه .. الخطوة الأولى أن يتأكد من هذا التلوث
وبعدها يبحث عن أسبابه ..

الأيام والأسابيع تمضى وهو عاكف فى معمله ، فى كل صباح

يضع نقطة من ماء النهر تحت اختبار معين .. لكن التجربة تنتهى -
بانتهاى اليوم - دون نتيجة بيد أنه لا ييأس ويوالى التجارب ! ..

- ٤ -

الوزير مهموم لحال البلد .. يكرهه ما جرى ، لكنه
لا يستطيع أن يفعل شيئا .. أخيرا فكر فى الحكيم
الأكبر .. ربما استطاع بحكمته أن يجد للأمر مخرجا ،
الحكيم الأكبر لا يخبى ظنه .. قال بهدوء :

— أجل يا سيدى .. هذا الداء له علاج .. هناك نبع
يجرى بين الصخور التى فوق قمة الجبل .. ماؤه يشفى
جميع هذه العوارض والأدران ، لكن هناك مشكلة .. لن يستطيع أحد
أن يجلب شيئا من ماء هذا النبع .. بل لابد أن يصعد كل شخص
بنفسه إلى مكانه ليتلقى بفمه بعضا من نقاطه ، ولكن .. من سيقنع
أى فرد بأن يتجشم تسلق الجبل ؟ ..
قال الوزير بدهشة شديدة :

— أعتقد أن أى شخص أصابته هذه الحالة يتمنى لو استطاع أن
ينزاع رأسه ويلقى به بعيدا ، فإذا عرف أن لهذا الداء اللعين
علاج .. فمن المؤكد أنه على استعداد لركوب أية مشاق فى سبيل
الشفاء منه ..

— ومن أين يعرف أى شخص أنه قد أصيب بذلك الداء ؟ ..
الوزير يكاد يذهل .. يهتف ..
— ماذا تعنى .. بالله عليك ؟ ..

— أعنى أن كل شخص يرى هذه السحنة على وجوه الجميع ..
ويستنكرها فى قرارته .. دون أن يخطر بباله أن وجهه هو الآخر على
نفس الصورة ! ، يتساءلون جميعا .. وماذا جرى للبلد ؟ .. وماذا
أصاب أهله ؟ .. أصبحوا غير ماكانوا .. تحولت صورتهم الجميلة

إلى صورة أخرى بشعة : قولو تمنعونا قليلا لأدركوا أن البلد ما هو
إلا هذا وذاك .. وهو وهى وهم .. ولفكر كل منهم أن يبدأ بنفسه ..
كلمات الحكيم لطمت الوزير على أم رأسه .. ثم راحت تنساب
داخله كثعبان أملس .. قال بصوت مشبع بقطرات الذعر اللاذعة :
— وإنا ؟ .. هل أنا أيضا أصبحت على شاكلتهم ؟ قام الحكيم مرّة
مكانه وعاد ويده مطبقة .. قال بهدوء :

— هناك شيء لا تعرفونه ..

فتح يده وكشف عما بها :

— هذه .. اسمها مرآة .. بلدنا فى حاجة إلى عديد منها : أنظر .
قرب المرأة من عيني الوزير .. فما كاد يرى وجهه فيها حتى تراجع
مجفلا .. لم يستطع النطق .. كأن الكلمات قد تحجرت داخل حلقة ..
بعد لأى استطاع أن يحرك لسانه .. سأل بلهفة وقد راحت عيناه
الزائغتان تدوران فى كل اتجاه :

— قل لى من فضلك .. أين النبع الذى قلت لى عنه .. أرجوك أن
تتكلم : لابد أن أذهب إليه فورا .. !
ضحك الحكيم :

— ألا تتمهل حتى تسمع ردى على السؤال الذى استدعيتنى من
أجله ؟ ، لقد سألتنى إذا كان هناك حل أو علاج لما وصل إليه
حالنا .. نعم يا سيدى هناك حل .. حل واحد وحيد .. اكتب هذا
الإعلان كى ينشر فى جميع الصحف « مطلوب على وجه السرعة ..
مرايا .. الآلاف .. بل الملايين من المرايا .. كى توزع على الناس .
جميع الناس فى هذا البلد » !



دين لم نستدنه

قمت من نومي فزعا ، ياله من حلم ! . اقف على شفا حفرة .. وتكاد قدمي تنزلق إليها ، دوت قهقهة عالية ، عجزت عن رصد مصدرها .. ربما كان الشيطان .. أو كنت أنا .. أو أى شيء آخر . هبل كان حلما أم استشفافا ؟ ، أم انها رغبة تستعر فى اعماقى .. وكأن اعماقى هى الجحيم بعينه ! إننى فعلا على شفا حفرة ، فى الحلم كنت أجاهد كى لا أسقط .. فى الحقيقة أنا بنفسى الذى أرغب فى السقوط .. أرغب ولا أرغب .. قوتان تتنازعا ننى حتى اكاد بينهما أنشطر إلى نصفين ، أو ربما انشطرت فعلا من زمن بعيد ، المشكلة أيهما أنا وأيهما الذى يفكر الآن ؟ .

لماذا يكره الناس الناس إلى هذا الحد ؟ يقول شخص عن شخص آخر كلاما حسنا .. بيد أن هذا القول لا يجد من ينقله .. حتى ولا حمار أعرج يتعثر فى سيره لكنه بعد زمن طويل يمكن أن يصل ، ويقول شخص آخر كلاما سيئا .. للحال يجد مليون فرس أشهب تنطوع لنقل القول فى سرعة البرق ! ، ويتلقفه الناس فى بهجة ويرددونه فى سعادة ونشوة . ما الذى يسعدهم وليس بينهم وبين المتقول عليه أى عداة ؟ ، على العكس .. كان والدى طبيبا مسالما يحب الجميع ، والجميع - اعتقدت ذلك - كانوا يحبونه ، لكن كل هذا الحب لم يمنعهم أن يصدقوا أنه اختلس حقا هذا المبلغ الذى اتهم باختلاسه ! ..

أحققوا معه .. فتنشوا منزله .. أكثر من مرة ، لم يجدوا شيئا .

ولم يجدوا دليلا قاطعا على انه الفاعل .. مجرد قرائن ، مع ذلك طلبوا منه أن يستقيل ، القرائن كثيرة ، لا يصح أن يبقى مادامت تحوم حوله الشكوك ، تميعت القضية .. فلا هو وجد دليلا على براءته .. ولا هم استطاعوا تقديم دليل إدانة ضده ، لذلك لم يصدروا عليه حكما بشيء ، رئيسه قال ذلك .. كذاب .. بل صدر ضده حكم .. إنه رجل تحيط به الشبهات ! .

كأى خبر يتسكع بين الأفواه والأذان .. لابد أن يحذف منه ويضاف إليه ، بل حتى ما يتبقى بعد الحذف والإضافة غالبا ما يحور ويحرف ، عندما وصل النبا لجيراننا الكرام كان شيئا آخر .. « فصل شاكر افندى من عمله لانه اختلس ! » ، ولأنهم - الجيران - جميعا .. جميعا جميعا .. طاهرون شرفاء أنقياء .. عليهم أن يتجنبوه .. خشية أن يلوثهم لو صافحوه ! ، مجرد وجوده امامهم يشكل قذى فى عيونهم . النساء أيضا قاطعن زوجته ، وحتى الأولاد .. قاطعوا أولاده !! ، لم يعد أحد منهم يلعب معى أو مع شقيقتي كريمة ، مرة خاول صديقى الأثير عزت أن يتفرج على لعبة كنت أحملها - عندما تقابلنا على السلم - فإذا بيد تمتد من فتحة صغيرة لبابهم المواردب .. كى تجذبه داخلا ثم تغلق الباب بسرعة ! .

ما كان أضلمه من جزاء تلقيته ! . عندما دققت جرس شقتهم لأطمئن عليه ، أغلقوا الباب فى وجهى بعنف .. دون كلمة واحدة ! ، ذهبت إل أمى باكيا .. لكنها بدلا من أن تكفف دموعى كما اعتادت دائما .. شاركتنى إياها ، لاكتشف بعدها أنها أيضا أصبحت مثلى .. منبوذة .. لا أحد يأخذ منها أو يعطيها ..

ترى قيم كان يتكلم الجيران قبل أن يحدث هذا لوالدى ؟ ، بدأت أيامها أشك أنهم كانوا يفتحون أفواههم .. حتى للتأؤب ! ، لم تعد هناك من سيرة - لآى اثنين منهم يلتقيان - إلا هذه القضية ، جعلوا

من أبى المسكين « لبانة » راحوا يلوكونها بين أشداقهم غير أبهين
لآلامه ، على العكس .. كان استمتاعهم يزداد كلما سمعوا عظامه
تطرق تحت أضراسهم ! من وقتها وكاننا عقدنا معاهدة تحالف مع
الحنن ، كانت تجربة قاسية أصابت أعماق والدى وتركت بصماتها
داخله وحتى خارجه .. وجهه أصبح متغضنا كورقة مهملة كورتها يد
عصبية !

لا .. لم يمِت والدى بنزلة شعبية كما قال الأطباء .. مات
مقتولا ! ، اشترك الجميع فى قتله .. رئيسه وزملاؤه .. ثم البوليس
والنيابة - الذين لم يستطيعوا ضبط الفاعل الحقيقى - ، وأيضا
الجيران والأصدقاء والأقرباء .. سقط المسكين فتكاثر عليه
السكاكين !

فى نفس الجزيرة المعزولة كبرنا أنا وأختى حتى التحقنا
بالجامعة .. وبدأنا نختلط بالزملاء قليلا ، ومن بينهم تقدم لأختى
عريس .. حضر إلى منزلنا مع أسرته ، تم الاتفاق تقريبا على كل
شئ ، عقب عدة زيارات ذهب ولم يعد ! ، انسحب بعد تقديم أعذار
واهية ، فى العام التالى تقدم عريس آخر .. ليبتلعه بدوره بحر
الظلمات .. بعد زيارته لنا عدة مرات ! ، وبالطبع لم يكن الأمر
بحاجة إلى ذكاء كثير حتى نعرف السبب .

لم نعد نستطيع تحمل حلقات النار التى كانت تضيق حولنا أكثر
وأكثر كل يوم ، بعد أن فقدنا الأمل فى أن تخضر يوما صحارى
النفوس ، لذلك لم يكن هناك حل سواه .. رغم صعوبة العثور على
شقة فى هذا الزمان ، لكن أصحاب منزلنا كانوا كرماء جدا .. دفعوا
لنا أكثر مما طلبنا بمثابة « خلو رجل » .. لنُدفعها بدورنا للشقة
الجديدة .. فى حى بعيد .. وإن ظهر بعدها أنه لم يكن بعيدا بما فيه
الكفاية .. لنسقط مرة أخرى فى قاع الحقيقة ، خلال شهور قلائل كان

جميع جيراننا الجدد قد علموا بالحكاية .. شاملة كل الإضافات ! ..
بداية لم يهمننا الموضوع كثيرا .. لأننا من أول الأمر لم تكن لدينا
نية الاختلاط بأى جيران ، ولكن . تجددت لعبة العرسان لكريمة فى
المنزل الجديد مرتين ، بعدها تقدم العريس الخامس .. وتعددت
زياراته ، ونحن نسأل « ترى متى يصيبه الوباء الفتاك ؟ لكن
الشهور تمر وهو لا يتغير .. وأسعد ذلك أمى ، لكن كريمة كان لها
رأى آخر .. وافقتها عليه ..

حقا ما يدرينا أن الخطر قد زال تماما .. اليس محتملا أن يعود
فيقع بعد أن نكون قد قطعنا شوطا فى إعداد الجهاز ؟ ، وقوع البلاء
خير من انتظاره .

رد العريس على أختى بابتسامة متسامحة :
— أووه .. لقد سمعت هذا الموضوع لكنى لم أصدقه .. كادت
أمى تبكى من التأثر :

— الحمد لله أنك لم تصدق هذه الافتراءات ..
— يقولون فى الأمثال سيماهم على وجوههم ، فهل يعقل أن
تكونوا أنتم أهلا لذلك ؟ !
غلب التأثر أمى فبكت وهى تربت على يده :
— بارك الله فيك !

اطماننا فبدانا نعد لشراء جهاز العرس .. عندما فاجأنا العريس
بطلب غريب ، إنه يريد اثنا لخمس غرف مجهزة بكل أدوات الحياة
العصرية ..

واعترضت أمى قائلة إن ذلك من واجبه هو .
فعاد يبتسم .. بنفس السماحة . وهو ينظر نحوى :
— عندما يكون هناك تفاهم فلا يهم ماذا على العريس أو ما على
العروس !

بدأت تساورنى الظنون .. مع ذلك حاولت أن اتخذ من ابتسامتى

ستاراً يخفى ما بداخلى .. هممت :
— هذا صحيح ولكن .. من أين نأتى بكل هذا ؟ ، إننا كما ترى
أسرة متوسطة ..

— كل ما طلبته لن يزيد على خمسين ألفاً ، وهى ليست كثيرة
على كريمة بالنسبة لـ .. لـ ..
قالت أمى ببراءة :

— أقسم لك . يا ابنى اننا لا نملك أكثر من ..
قاصعتها كريمة التى كانت تنظر إلى خطيبها بنظرات غريبة :
— لماذا لم تتركه يكمل يا أمى ؟ .. بالنسبة لماذا يا فتحي ؟
عادت عينها تحاولان اصطياذ عينيه .. وأفلحت أخيراً رغم
مجاولاته الإفلات : من ثم راح يثأىء ويفافىء .
— أقصد .. يعنى .. أريد أن أقول ..

— انطقها يا فتحي ولا تردد .. بالنسبة للمبلغ الذى اختلسه
والذى .. اليس كذلك ؟

— لا .. لا .. أبداً .. لم أقصد ذلك لكن .. لكن .. صرخت كريمة :
— أخرج من هنا فوراً ولا تدعنى أراك ثانية .. أبداً .
— اسمعنى فقط .. لماذا احتفظ والدك بالنقود ؟ ، اليس من
أجل مجابهة الظروف الهامة لك أنت وشقيقك ؟ ، وهذا طبعاً أهم
ظرف !

بكت كريمة وهى تخلع الدبلة من إصبعها وتلقيها فى وجهه :
— كان والدى أشرف الناس .. يا حقىر ! ...
رغم أن فتحي كان كذلك فعلاً .. إلا أنه - وبالعجب - غضب
بشدة ! ، وأظهره الغضب على حقيقته .. راحت تفتاه تبعثراح
الكلمات :

— لا تصرخى هكذا وكان الوالد كان شريفاً فعلاً .. الكل يعرف
أنه اختلس المبلغ ، فهل تظنيننى أبله ؟ ، إلا إذا كان شقيقك رؤوف

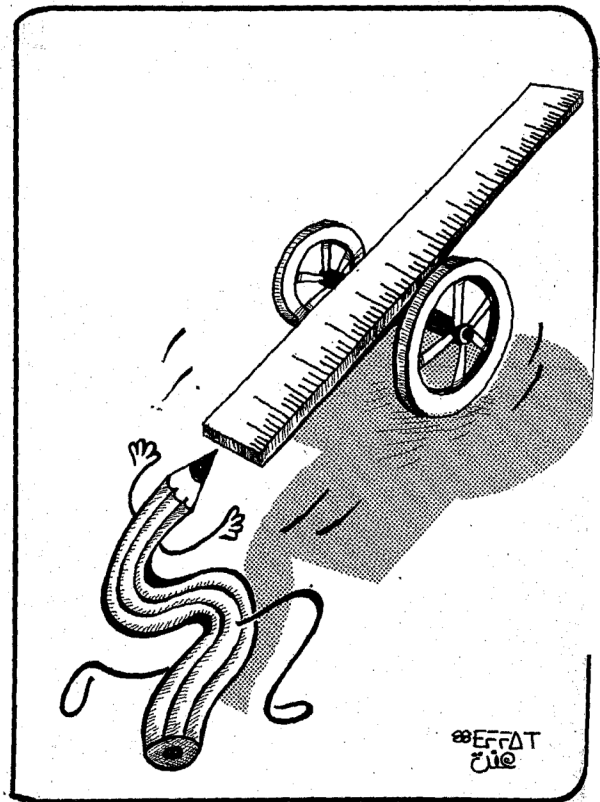
قد لعب لعبته فأخفى عنك النقود ليستحوذ عليها وحده ، وفى هذه الحالة يجب أن تشكرينى عندما أنبهك .. كى تفيقى من غفلتك وتنتزعى منه نصيبك !!

بعد أن أفاقت كريمة من نوبتها الهستيرية أراحت رأسها على كتفى .. فى حين كانت والدتى لا تزال تردد وهى تخطب كفا بكف :
— كان الأربعة الذين انسحبوا أكرم منه ، يا إلهى ! . طيلة الوقت كان يعتقد أن المرحوم قد اختلس .. ورغم ذلك تمسك بك .
ردت كريمة ورائحة حريق الكلمات تفوح من شفيتها :
— ما أطيبك يا أمى .. إنه « بسبب ذلك » تمسك بى !!

أعمل الآن بعد تخرجى فى عمل يجعل مئات الآلاف من الجنيهات تحت يدى ، فى كل مرة أمسك مبلغا كبيرا من النقود أتذكر ما حدث لأبى .. إنه محفور وشما على جبين الذاكرة ، وأيضا ما حدث لنا جميعا من بعده .. أنا وأمى .. وأختى على وجه الخصوص ، الأسى أخذ البريق من عينيها وتركهما قطعتين من زجاج ! ، لقد دفعنا الثمن غاليا .. ثمن خطأ لم نرتكبه ، أى بالضبط كأنه ثمن شيء لم نحصل عليه ، اليس من حق شخص دفع الثمن مقدما أن ينال ما دفع ثمنه ولو مؤخرا ؟ ، ألم نسدد ديننا لم نستدنه ؟ ، إصلاح الوضع يكون بأن أصنع فعلا ما اتهمونا به .. حتى لا أظل طيلة حياتى أشعر بمرارة الاتهام الظالم .. ويالها من مرارة ! .

لكننى فى أحيان أخرى أعود إلى نفسى وأطرد عنها ذلك الهاجس الفظيع ، أحس أننى على شفا حفرة عميقة .. ترى إلى ما سينتهى بى الأمر ؟ ، هل أخطو بنفسى منزلقا داخل الهوة ؟ ، أم سأبتعد عنها قدر ما أستطيع وأسير فى طريقى السوى ، أم أظل طويلا فوق شفا هذه الحفرة ممزقا بين الإقدام والإحجام .. بين السقوط والنجاة ؟ .

بالقلم والمسطرة



©EFFAT
عن

فتحت عيني وتلفت حولي فرأيتة .. لم يكن الأمر
غريبا .. منذ شهور وأنا أراه كلما فتحت عيني ،
وأراه كلما أغمضتهما .. لم أصرخ كما كنت أفعل
فى بداية رؤيتى له ، ولم أحده بكرهية
واستنكار .. ولم أغلق عيني بيدى ، ظلمت أنظر
إليه باستسلام بليد .. يبدو أن نظرتى راقته فظل
مكانه .. فى المرات السابقة كان يختفى بعد نظرة واحدة ، أغمضت
عيني وفتحتهما .. فركتهما بيدى .. هزئت رأسى بشدة لكنه رغم كل
ذلك ظل ثابتا .. لا .. ليس ككل مرة .. هذه المرة موجودة حقيقة ..
يخيل الى - بل أنا متأكدة - اننى لو مددت يدى للمست جديد
البارد .

واحسست كأن صاروخا من النار يخرج من رأسى مخترقا عيني
وفمى وانفى وأذنى فى حين انغمد فى قلبى نصل حاد بارد .. اذن
جاءت النهاية ، وتحققت مخاوف الطبيب ، ولكن .. هل جاءت هكذا
سريعا .. مع كل تشاؤمى وحساباتى كنت أتوقع أن يحدث ذلك بعد
عام أو عام وكسور .. ثم .. لماذا أحضره ؟ .. هل أحس الطبيب
اننى أحاول الهرب من سماع نتيجة فحوصه فأراد أن يحاصرني ؟ ..
تماما كما فعل عزيز شقيق زوجى ، يومها أغلقت باب السيارة بعنف
وكاننى بذلك أعلن عن تصميمى على عدم الحضور غدا .. أجل لن
أحضر .. ولن أسمع ما سوف يقولون .. لا أريد أن أعرف شيئا ،
وإذا بعزيز يقبل على قبل أن تقوم السيارة :
— اسمعى .. سيامر عليك غدا فى الخامسة لأصحبك ..
فانتظرينى ..

لماذا .. ؟ .. منذ أدخل زوجي المستشفى .. أى منذ حوالى ثلاثة شهور وأنا احضر اليه كل يوم تقريبا في سيارتي الصغيرة ، ولم يحدث أن اصطحبني عزيز في سيارته أبدا .. وحتى لو كان قد أحسن بخطتي المبيتة فلماذا يحاول إفسادها ؟ .. لماذا يجبرني على السماع ؟ .. ما شأنه هو ؟ !

الغريب أن أهرب من معرفة نتائج الفحوص وأنا التي حاولت بكل ما أملك - أو يملك أى انسان - من جهد ومثابرة كي أعرفها ، فى بادئ الأمر لم أكن أحاول أن أعرف أو أتجاهل .. لم يكن الأمر يبدو ملحا .. بل اننى حتى لا أذكر على التحديد كيف بدأ مرضه ؛ حاولت أن أتذكر فلم أفجح ، ويبدو أنه حتى لم يقل لى فى البداية .. ذهب وحده الى المستشفى واعطوه بعض الادوية ، لكن الحالة اشددت .. لم يعد يشعر بضئف ساقه بين الحين والحين ، لكن ذلك أصبح دائما ، وعند ذلك فقط بدأت أدخل فى الصورة ، ولم يعد الأطباء يكتفون بالفحص الظاهرى ؛ لكنهم عمدوا للأجهزة والأشعات ، وكل طبيب له رأى ، وجرب اقتراحاتهم جميعا .. شدة للعنق ثم للسانق .. ثم رقبة من البلاستيك ، لكن ذلك لم يُجد ، واتجهت أنظاره وأنظارى معه الى الخارج ، وتحقق الأمل البعيد وسافر ؛ وهناك كان الرأى القاطع ، « دى . إس » أو الضمور المتناثر فى خلايا الجهاز العصبى ، غير قابل للشفاء ، لكن بالإمكان وقفه حتى لا يتطور الى أسوأ .. مع الأمل فى بعض التحسن إذا داوم على العلاج الطبيعى ولم يكن ذلك سهلا ، لكننا تقبلناه .. ومضت الأمور على ما يرام مدة طويلة ، حوالى ثلاث سنوات فلماذا ساء بعد ذلك .. هذا هو السؤال الذى حير الأطباء بعد أن حيرنى أنا .. الغريب أنه ظل منذ عودته من الخارج وحتى بضعة شهور قليلة فى حالة واحدة .. ثم بدأ ينزل بسرعة .. الأغرب أننى لم ألاحظ ذلك فى أول الأمر ، فقد كنت معه على الدوام ، وكلما شكا من ازدياد ثقل ساقه .. نزل ساقيه الإثنيتين

معاً ، أرجعت ذلك لسوء حالته النفسية ، وهذا ما لاحظته يقيناً من بدء مرضه .. كلما أثاره شيء ساءت حالته. وكان من الطبيعي أن تحزنه وفاة والدته التي كان يعبدها .. طماننى ذلك . بعد فترة سنخرج جميعاً من حالة الحزن الى اهتمام بحياتنا .

لكن الناس بدأوا يثيرون فى نفسى القلق .. خاصة الذين يقابلوننا على فترات متباعدة .. أصبحت الكلمة الأولى حين يروننى ، بعد السلام - وأحياناً قبله - : ما باله عزت .. هزل جداً ومشيته فى غاية السوء ، فى البداية لم يعلق فى ذهنى شيء بل اننى أرجعت حديث بعضهن للغيرة والكراهية ، لكن الحديث تكرر ، ووقعت فى حيرة .. هل أخفى عنه أم أصرحه .. وأى الخطوتين يا ترى فى صالحه ؟ حتى حزمت أمرى ذات يوم رأيت فيه ساقيه تتعثران فى لا شيء ويكاد يقع :

— هناك شيء أود أن أحدثك فيه .

— وأنا أيضاً لى ما أود أن أحدثك فيه .. واكتشفت أنه الآخر كان يحاول أن يخفى عنى ما يحسه من تدهور حالته حتى لا أنزعج ، كائن عائداً لتوه من المستشفى كعادته كل بضعة شهور ليتابع طبيبه الحالة ، فى ذلك اليوم بادره الطبيب ورنه الدهشة واضحة فى صوته « صحتك لا تعجبنى » .. خاسس جداً ومشيتك سيئة .. يجب أن تدخل المستشفى غداً لتجرى بعض الفحوص ..

ومنذ اليوم التالى لدخوله وأنا أجرى خلف الأطباء ، كل طبيب أراه يخرج من عنده ، بل حتى الممرضات والحكيما .. استخدمت كل ما أملك من لباقة وقوة اقناع وبراعة فى الحديث لاستدراج أى منهم فى التصريح لى بكل حالة عزت .. بل اننى استخدمت بعض طرق « شرلوك هولمز » ، لكن الجميع ظلوا على صمتهم التام « لا نستطيع القطع بشيء قبل أن تنتهى كافة الفحوص والأشعات » ليس هناك داع لأن نحاول التكهن مادامت الاجهزة تستطيع

التحديد أكثر ، ، وقمت بأخر لعبة فى جعبتى ، وليتنى لم أفعَل
كانت نتيجة اللعبة ثلاثة شهور عشتها فى جحيم لا أحد يستطيع
تصوره :

— بطلا رياضية كما تعرف وأستطيع تقبل أى خبر بشجاعة ،
كما قابلت هزيمتى أكثر من مرة بابتسامة .

كيف خطر لى أن أفكر هكذا ؟ أن أقارن بين هزيمة فى اللعب
أستطيع بعدها .. بل حتى فى وقتها أن أمل فى نصر لاحق ، وبين ..
بين .. أه .. اننى أحس كما لو أن كل شيء فى حياتى قد انهار
فجأة ، وليت ذلك الطبيب الصديق فضل أن يلزم الصمت كالباقين ،
لكنى خدعته بشجاعتي المزعومة .. كان من الخطأ فى حق أطباء
المستشفى أن أستعين بطبيب من خارجه مهما كانت كفاءة هذا
الطبيب وهنا كانت لعبتى .. انه صديق .. ما الفرق بين الصديق
والقريب ولماذا لا أقدمه على أنه الأخير .. وزار عزت وفحصه
وتبادل الحديث مع أطبائه وبعدها دعوته مع ابن عمه - الذى هو فى
نفس الوقت زوج لابنة خالتي - على الشاي .. ووسط عديد من
الموضوعات وصلت لهدفى وحاصرته بعد محاضرتى عن الشجاعة :
— أفهم تماما أن نتيجة الأبحاث الجارية هى التى ستحدد مرضه
لكن لابد أنك كونت فكرة ما .. لماذا لا تصارحنى بها ؟ ..

واستجاب .. صارحنى .. جدا :

— أشك أنه أصيب بمرض عدا مرضه القديم ، تاكل العضلات ..
خطورته أنه من الصعب جدا إيقافه .. ربما أمكن ذلك فى عضلات
ذراعيه وكتفيه .. واضح جدا أن المرض انتقل إليها هى الأخرى ،
لكن تأكلها بسيط .. أما فى ساقيه فقد أحرزنى جدا مدى تاكل
عضلاتهما ..

أسرعت من فورى الى المستشفى وأخطأت عمدا فى غرفة زوجى
لأدخل الغرفة المجاورة وبعدها أسأل الحكيمة عن قاطناتها الذى كنت

رأيته أكثر من مرة على كرسية المتحرك وذراعاه جلد على عظم ..
ليس كما نقولها مجازاً رمزا للهزال .. لكنهما كانتا فعلا عبارة عن عدد
من العظام تغطيها قطعة من الجلد .. وهزت رأسها :

— مسكين .. عنده تآكل فى العضلات .. مرض خبيث يسبب
ضمور العضلات شيئا فشيئا حتى تتآكل تماما ، ولا أدرى يومها
كيف عدت الى منزلى .. أويت الى فراشى لكن النوم كان مطلبا عزيز
المنال .. حتى غزا عيني أخيرا .. للحظات .. ثم رأيته أمامى ..
واضحاً كل الوضوح : كرسى ذو عجلات .. وانطلقت صرختى تشق
سكون الليل ، بعدها .. تعود الظهور أمامى كلما فتحت عيني
أو أغمضتهما .. كلما تحدث معى شخص فى أى موضوع ، الشغالة
تقول بمرح « رأيت عند الصائغ حلقا جميلا .. عندما يأخذ البك
النجمة القادمة لن أقبل فستانا كالمرة السابقة » وأراه أمامى ..
الكرسى .. ذا العجلات ، طفلتى تقول « عندما أتزوج سأتأبط ذراع
بابا أولا ليقدمنى لعريسى .. كبطلة هذا الفيلم » الكرسى
ذو العجلات .. ابنى الأصغر يؤكد « فى الصيف القادم سأسبق بابا
فى السباحة » الكرسى ذو العجلات .. الأكبر يشير للتليفزيون
« رقصتك انت وبابا المفضيلة .. التانجو .. متى تتقدمون لترقصا
الجيرك او التويست ؟ » الكرسى ذو العجلات .. وغيره وغيره .. كل
موضوع يختتمه هو كأنه السلام عند نهاية كل حفل ومعه تلك اليد
الباردة تعصر قلبى ، عزت يصبح قعيد ذلك الكرسى حبيسا
داخله .. لا ينتقل أو يذهب أو يجيء إلا إذا جاء أحد ونقله .. كأنه
« شىء » .. عزت ؟ هل هذا معقول .. ؟ ألن نخرج ونعدو ونمرح
بعد ؟ بل حتى ذراعاه .. ألن يعود يطوقنى بهما فأحس بسعادة
الدنيا كلها فى قلبى ودفء العالم كله يحتوينى لا .. لا يارب ..
نعم .. لن يقبل الله ذلك أبدا فهو كريم رحيم .. لكنه قبله لأناس
آخرين وهو هو .. الكريم الرحيم .. عموما الطبيب لم يقطع بأن

عنده هذا المرض .. يشك فقط ولم تظهر بعد نتيجة الفحوص .. لكن شكه قوى خاصة مع كل العلامات التى يقول انه سجلها عليه والتى تصاحب ذلك المرض عادة ولولا ذلك لما صارحنى .. ربما كان مخطئا .. لكنه طبيب قدير عائد لتوه من بعثة فى الخارج حاصل على أرقى الدبلومات .. متخصصا فى هذا الفرع بالذات ، وامضى فى الأخذ والرد مع نفسه لىالى بطولها .. كدت أنسى طعم النوم . كيف سيتحمل عزت ذلك لو حدث ؟ ، كان دائما يضيق بتعثر مشيته ولم يتقبلها الا بصعوبة كبيرة ومشقة بالغة .. ليته يقضى قبل أن يقع له ذلك .. هذا أحسن له فلن يستطيع احتمال هذه الحياة وهو الذى كان أبدا شعلة حيوية ونشاط .. لكن لا .. وجوده أهون .. ويكفى أن أراه وأنظر فى عينيه وأسمع صوته .. يملأ علينا البيت وسأخدمه بجوارحي ، هذه الفكرة الأخيرة هل سببها حبي له أم تعد من ناحيتى أنانية .. أقبل أن يتعذب هو ويعيش حياته مروراً حتى لا اتعذب أنا بنار فراقه ، لم أعد أعرف فى هذه الدوامة ما هو الأفضل له وبأى الامنيات أثبت وفائى وتضحيتى من أجله .. !

لم يكتف ذلك الكرسي بالظهور أمامى فى فراغ الغرفة لكنه قفز أمامى فجأة يوما على صفحات جريدة كنت أقرأها .. لم أعود قراءة الاعلانات المبوبة .. لم أكن أبحث عن شيء أريد شراءه .. فما الذى جذب بصرى لذلك الاعلان .. الذى يصف مزايا كرسي متحرك وارد من الخارج على أحدث طراز وبه كافة المستحدثات التى تريح راحته ، وأخذت أفكر .. هل اذهب وأشتريه ؟ لكن هذا يكون فالأسيئاً ولم يقطع بهذا المرض بعد ، وإذا انتظرت .. اليس محتملاً ألا تعود الفرصة مرة أخرى بكرسى به أحدث الإضافات ؟

اليس من واجبي كزوجة محبة مخلصه ان أبحث عما سيحتاجه زوجى .. ولو بعد حين ؟

كدت أفعلها .. لم يثننى غير تفكيرى فيما أقوله لعزت عنه .
لم يكن منتظرا أن يستغرق ظهور النتيجة كل هذا الوقت لكن
الأقدار أبت إلا أن تزيد عذابى فتأخرت بعض الفحوص خاصة أشعة
المخ والأشعة بالصبغة على العمود الفقرى فالمفروض ألا تجرى
لإنسان عنده ولو درجة واحدة مرتفعة فى حرارته ، وحدث أن
أصيب عزت بانفلونزا فتأخرت الاشاعات وبعدها توالى النزلات من
شعبية ومعوية وآلام روماتيزمية ، وكلما شفى من أحداها وبيتوا
على اجراء الاشاعات أصابته الأخرى وأنا على نار .. وهو لا يعرف
شيئا .. ويضحك عاليا « أيفعل غيابى عنك كل هذا ؟ »

ليتنى لم أجز خلف الأطباء لأسألهم .. ليتنى تركت الملك للمالك
يفعل ما يشاء وقتما يشاء وأسعد أنا بيومى ، ولو علمت ابنة عمى
منذ بداية زواجها أنها ستفقد زوجها بعد أعوام خمسة مرت سريعا
لحملت الهم وركبها الحزن منذ ليلة الزفاف .. لكن ما أكرم الله أن
يخفى أقدارنا عنا .. وهكذا سعبت فى هذه الأعوام سعادة كانت
مضرب الأمثال حتى ترملت فجأة فدخل الحزن حياتها ، تبدد منه
كثيرا .. ذكريات السعادة الغابرة .. نعم لن أعرف نتيجة الفحوص
خاصة لن يكون فى يدي فعل شيء أو تدارك شيء فى هذا المرض
بالذات .. إن أنا عرفت ، سأعيش يومى واستمتع به مع عزت فى
حياة طبيعية نمرح ونسعد وعندما يحدث شيء - إذا كان مقدرا أن
يحدث - أبدا الأسى . وتذكرت قول أمى « لا أحد يفعل ما تفعلين ..
سترين .. لن يكون عنده شيء وسيخرج هو لترقدى أنت .. من كثرة
التفكير » ، وأى تفكير .. كنت أحسب مدى تأخره فى الشهور الثلاثة
الماضية وأقيس عليها مدى ما سيبقى له واقفا على قدميه .. إذا
استمر غزو المرض بنفس النسبة واستمر خط سير حالته مائلا
بنفس الدرجة ولم يكن ينقصنى إلا أن أستعين بالقلم والمسطرة
لتكون الحسبة أكثر دقة ولأتوصل الى مدى ما سيصل اليه حاله بعد

اعوام .. فهل ضمنت عمره أعواما ؟ وهل ضمنت عمري أنا ؟ .. هل نسيت الله ؟ ليس من المحتمل رغم ما يقول الأطباء أن يتوقف المرض عند هذا الحد ؟ .. أو يتحسن ؟ .. هل يستطيع أقدر علماء الرياضيات أن يحسب وهو يرى حجرا يتدحرج على أرض مائلة متى يقع فى المترعة ؟ ليس محتملا أن يقف فجأة ويكف عن التدحرج لنتوء بالغ الضالة فى الأرض لم يره ولم يعمل حسابه ؟
رغم وصول تفكيرى الى هذه النقطة فاننى نظرت ناحية اللعبة الصغيرة المعلقة فى مرآة السيارة عندما ارتطمت بالزجاج الامامى اثر مطب عميق .. لكنى بدلا من منظر اللعبة المعتاد رأيته يهتز امامى .. الكرسي ذو العجلات .. وشهقت ولم ار إلا متأخرا سيارة النقل تخرج من شارع جانبي .. نعم اذكر الآن ذلك ولا بد قد وقعت لى حادثة .. لا بد انى قد أصبت .. لحظتها خيل الى اننى انتهيت .. هل كان ذلك بالأمس أو من أيام ؟ .. نعم اننى فى مستشفى لكنها ليست غرفة عزت .. اننى نائمة فى سرير من أسرة المرضى .. نعم لاشك قد أصبت .. أم اننى أحلم ؟ عزت غير موجود ، ترى هل عرفت نتيجة الفحوص ؟ قطعاً وإلا فلماذا اتوا بهذا الكرسي الرهيب ؟ ودخلت مجموعة من الأطباء والمرضات قال احدهم « يبدو أنها أفاقَت وابتسم لى آخر قائلاً : « صباح الخير .. كيف الحال » ؟
وسألته :

— هل اصطدمت سيارتى بسيارة نقل ؟

— نعم .. والحمد لله أن أصابات الرأس خفيفة .. اما أصابة العمود الفقرى فصعبة بعض الشيء عموماً الطب يتقدم كل يوم .. وقد يمكن عمل شيء فيما بعد .. ولكن ..
وبذكائى واستنتاجاتى المعهودة قاطعته وأنا اشير للكرسى : -
تعنى اننى سأستعمل هذا ؟

— مؤقنا .. عموما لك ان تحمدى الله على نجاتك .. لقد نجوت
بأعجوبة .. والحقيقة ..
قطع كلامه ونظر الى مبهوتا .. معه حق .. فمن كان ينتظر أننى
عندما أسمع كلامه سأضحك هكذا .. انفجرت أضحك ضحكا
هستيريا وأنا أنظر الى .. الكرسي ذى العجلات ..



موضوع فخرية فخرى



● وضعت سماعة التليفون وهي تحس بضيق

شديد .. لا ، لم يكن عتاب وكيل الوزارة سبب ذلك الضيق .. وطلت نفسها منذ بداية عملها في الصحافة ان كتابتها قد تغضب الكثيرين .. ووطنت نفسها أيضا ألا تهتم بغضب أحد مادامت .. مادامت موضوعية فيما تكتب ولكن ..

هل كانت كذلك في مقالها الأخير ؟

كلمة في حديث الوكيل هي التي أثارت قلقها .. « اعتدنا منك دائما الأسلوب الهادئ المقنع .. المبني على المنطق .. مقال اليوم هجوم صارخ بالغ العنف .. فلماذا ؟ بعد انتهاء المحادثة وجهت السؤال لنفسها .. نعم لماذا ؟ .. أخشى ما كانت تخشاه أن يكون انفعالها وليد تأثرها بموضوع شخصي يخصها هي ..

عندما بدأت العمل بالصحافة كانت أشبه بنقطة لم تتضح بعد على أى حرف ستوضع في كتاب الجريدة التي التحقت بها .. قال لها رئيس التحرير :

— طيلة شهور التمرين .. اكتبى فى أى شىء وكل شىء .. وبعدها سنكتشف نوع الكتابة التي تتفق مع ميولك ومواهبك وامكانياتك ..

بعد هذه الشهرة امتدحها ليقول لها :

— رغم نصيحتى لك .. كانت جميع مقالاتك في السياسة .. ولا أنكر صدق تحليلك وبراعة عرضك .. مع ذلك فأننى أفضل أن تكتبى فى صفحة المرأة أو الطفل .. أو حتى الصفحة الأدبية .. حيث لاحظت فى مقالاتك أسلوبا أدبيا جميلا .. أما السياسة فلا .. ! — ولكن .. لماذا ؟ !

— الكتابة فى السياسة تحتاج من المعلق أن يحكم عقله .. والجنس اللطيف دائما يحكم عاطفته ! ..

شهقت مستنكرة : سيادتك تقول ذلك ! .. فماذا تركت للرجعيين ؟
— ليست المسألة تقدمية أو رجعية .. وانما هي طبيعة المرأة .
— لكن العلماء الذين رصدوا الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة .. لم يجدوا أية فوارق في تركيب خلايا المخ .. وهى التى تسيطر على التفكير ، ثم دعنى اسالك .. ماذا عن أنديرا غاندى وبندرانايكة وغيرهما ؟

— لا أنكر أن هناك نساء نجحن فى اجتياز طرق شائكة .. لكن لا تنسى أن لكل قاعدة شذوذا .

— ولو اننى أرفض رأى سيادتك إلا اننى - اختصارا للمناقشة - أقول لك .. اعتبرنى من القطاع الشاذ ! ثم انه لن يكون تعيينا سرمديا .. ووجودك على رأس الجريدة ضمان لعدم نشر أى شيء ترى اننى كتبته عن هوى ..

ولم يندم رئيس التحرير على موافقته على اتجاهها قط . مع الايام بدأت قدماها ترسخان .. وراح قلمها يثبت وجوده ورغم الالاحاح والاغراءات من هنا وهناك رفضت ان تنضم للمؤيدين للحكومة أو المعارضين لها .. حتى لا تضع من هذا الموقف أو ذاك عصاية على عينيها تخفى الراى الآخر .. عملا بمثل قرائته وأعجبت به « دوام الوفاق نفاق .. ودوام الخلاف اعتساف » .. ومن ثم كتبت عن السلبيات والإيجابيات على حد سواء .. واستطاعت بذلك ان تكتسب ثقة الزملاء والمسؤولين والقراء جميعا .. ثقة كانت تزداد باستمرار .. حتى قال عنها أحد الزملاء يوما « أحس كأن مديحه ترن رأيناها بميزان الذهب الحساس ! » فماذا حدث اليوم ؟

بدأ الأمر بخطأ صغير من أسابيع ويبدو أن الأخطاء تشبه الانهيارات الجليدية .. يجر أحدها خلفه سواء وسواء ! ثنت بخطا آخر .. وعلى ما يبدو فقد أخطأت اليوم للمرة الثالثة .. لكنه هذا المرة خطأ عام : على عكس السابقين .. كانا بينها وبين ابنتها فقط .. أى كانت أخطاء بسيطة .. لا .. لا .. الخطأ الثانى كان يمكن

ان يصبح - لولا عناية الله - خطأ قاتلا ! .. الأول هو الذى كان بسيطا بالفعل .. وآى غضاضة فى أن تقول لابنتها ان مدام فخرية فخرى ارتها إياما من العذاب ! وهى قد قالت هذه الكلمات بلا تدبر ! ..

فى ذلك اليوم جاءت ابنتها تهمس بمرح :
— أرجوك يا ماما أن تتحفينا ببعض الكيك والبتي فور مع الشاى .. فضيقتى زميلة تزورنى لأول مرة .. وهى مستوى هاى جدا .. انها ابنة المخرج الكبير رجائى حسين ..
وشهقت مديحة : ابنة المخرج رجائى حسين ؟ .. إذن هى ابنة فخرية فخرى ؟

ضحكت نجلاء : ألم أقل لك مستويات ؟ أن أمها من اكبر نجومات .. قاطعتها بعصبية لم تتعودها : لعنة الله عليها وعلى أمها .. هذه النجمة .. كم حملت من الهم والقلق والغىظ بسببها !!
دهشت ابنتها : هل تعرفينها يا أمى ؟ ..
— لم أعرفها ولا أحب أن أعرفها .. وكفىنى مالمقبت بسببها من عذاب ..

انسحبت « نجلاء » الى ضيقتها دون أن ترد ، وعادت « مديحة » بذكرياتها إلى تلك الأيام . فى بداية اشتغالها بالصحافة .. لم تكن محاولاتها الطموح للوصول إلى مكانة مرموقة فى عملها بالأمر السهل .. أبدا .. باظفارها شقت الصخر .. بذلت الكثير من الجهد والوقت والعناء .. لا تنكر تشجيع زوجها لها .. لكنها لم تستطع نسيان ذينك الاسبوعين اللذين غابتهما شغالتها لمرضها .. طلب منها بكل حسم ووضوح ان تأخذ أجازة من عملها .. يهتم جدا بالنظافة والنظام لدرجة رأتها تكاد تصل حد الوسوسة ! أيضا يهتم جدا باصناف الطعام والتفنن فى تنسيقها وتجميل تقديمها . كانت « بهانة » شغالة لقطة .. تقوم بكل شئ فى المنزل على اكمل وجه .. حتى لم يحس زوجها العزيز يوما بأى نقص . طبعا لا يكتمل الحلو

أبدا .. لابد من عيب يقابل كل هذه المزايا .. طماعة كانت بهانة !
حديث واحد لم تمل ترديده أبدا .. النعيم الذى تتقلب فتية جارتها
وصديقتها وبلدياتها « فاطمة » التى تعمل عند الممثلة المشهورة
« فخرية فخرى » .. تعيد فيه وتزيد .. حلل الطعام الملائى بقطع
اللحم تاخذها كل يوم الى اولادها عند العودة .. قطع القماش
القطيفة والاسموكن التى تحضرها لها كلما عادت من إحدى رحلاتها
الفنية .. الهبات والعديدات فى المواسم .. أدوات المنزل القديمة
- حتى الكهربائى منها - تتنازل لها عنها .. زيادة المرتب كل بضعة
أشهر حتى يصبح الفرق بين مرتبى الشغالتين كبيرا .. وكلما حاولت
« مديحة » ان تراضى خاطر شغالتها بزيادة مرتبها جنيهين كانت
« فخرية » تزيد « فاطمة » خمسة ! .. وهكذا تزداد الهوة بدلا من أن
تضيق .. لا غائدة .. واحدة بالكاد تخطو والأخرى تعدو .. وحديث
« بهانة » لا ينقطع حتى أصبح يشكل دقا فوق نافوخ « مديحة » .
من ناحية كانت تخشى - بل تشعر بالرعب - أن تتركها « بهانة » إلى
إحدى زميلات « فخرية » - مثلا - ولا تجد بدلا منها .. فيؤثر
انشغالها بشئون المنزل على عملها . ومن ناحية أخرى لم تكن
مواردها تمكنها من مجارة « فخرية » التى تنهال عليها الافلام
والمسلسلات فراحت تغدق بغير حساب . لشد ما كرهتها .. رغم أن
الأخرى ربما لم تعلم حتى بوجودها .

قطع تفكيرها صوت ابنتها بعد انصراف زميلتها .

— لم تقولى لى ياماما بم اساءت اليك فخرية فخرى .

ضحكت : أووه .. انه أمر غير ذى بال .

— لكن ياماما .. لابد ان أعرفه ..

هتفت بضيق : لماذا لابد ؟ .. ماذا يهكم أنت ؟ .

— الست ابنتك ؟ .. يؤلمنى الملك ؟ .. وقد استطيع وقفها عند

حدها ..

— كان هذا موضوعا قديما .. أيام وجود والدك .. وكنت وقتها
أحاول اثبات وجودي في الصحافة .. الآن لا تخشى على .

لم تربط « مديحة » أبدا بين هذا الحوار - الذى اعتبرته عابرا -
وبين ماراح يطرأ على « نجلاء » من تغيير .. حتى لم تعد « نجلاء »
المرحة .. الممتلئة حيوية .. قل أكلها .. وصمتت ضحكاتها التى
كانت تغرد في المنزل الصغير .. أصبحت دائما ساهمة واجمة ..
كشخص دلف داخل أعماقه وأغلق الباب خلفه ، ورفضت أن تفتحه
حتى لأهنا .. كلما خطر لها سبب لما تعانى - مثل التوتر لاقتراب
الامتحانات .. أو خلاف مع إحدى الصديقات أو متاعب صحية -
كانت « نجلاء » تنفيه ، بل نفت وجود تغيير أصلا رغم وضوحه
كالشمس ، حتى جاءها « عمرو ، يوما يشكو من « نجلاء » :

— تغيرت كثيرا ياتانت مديحة .. لم تعد ترحب بحضورى ..
ودائما تعتذر عن الذهاب إلى النادى للقائى .. فإذا التقينا مصادفة
كانت معى فى غاية الفتور ! ..
وظننت « مديحة » انها أخيرا وضعت يدها على سبب تغير
« نجلاء » فراحت تعاتبها :

— لماذا لم تحدثينى عما شجر من خلاف بينك وبين عمرو !
وردت ببرود : وما شأنى به أساسا حتى تحدث بيننا خلافات ؟
شبهت مديحة : لكنكما فى حكم المخطوبين .. والاسرتان باكملهما
تعرفان ذلك .. عدا اننى حدثك صراحة برغبة والدته فى اعلان
الخطبة فاستمهلتنى حتى تنتهى من امتحان البكالوريوس .
— يبدو أننا كنا متسرعين .. اننى لا أريد الارتباط الآن .. أمل ان
يكرمنى الله وأحصل على تقدير .. وحالتها سأكمل دراستى حتى
الدكتوراه ..

— لكن ماذا حدث ؟ .. كنت تحبين عمرو أكبر الحب .. ولو انك لم
تقولى لى ذلك ، لكن مشاعرك كانت جلية لا تخفى على الغريب ..
فكيف بى أنا ؟ .. لا بد أغضبك فى أمر ما .. صارحينى به ، فكل شئ

يمكن اصلاحه .. وتهمس ساهمة : هناك اشياء لا يمكن اصلاحها
ابدا .. !

ويطول بينهما الحوار .. ويطول « ونجلاء » مصممة على أن شيئا
لم يغضبها من « عمرو » .. لكنها لا تريد الزواج على الإطلاق .. إذ
لم تعد تثق في جنس الرجال جميعا . وتحت وطأة حصار « مديحة »
وضغط اسئلتها تنفجر « نجلاء » :

— إذا كان أبى نفسه .. الذى كنت آراه مثاليا فى كل شىء كان ..
وتقطع حديثها لتصرخ مديحة :

— ماذا تقولين ؟ .. ما الذى تفكرين فيه ؟؟

— يا ماما أنا لم أعد صغيرة .. وعندما تقولين أن فخرية فخرى
سببت لك أياما من الهم والعذاب .. فالأمر لا يحتاج لذكاء كبير .. !
خبطت على صدرها :

— بابا يا نجلاء ؟ .. بابا ؟ ! .. لقد كان أفضل الرجال .. لكن ..
ما الذى جعلك تظنين هذا ؟

— جميع القرائن كانت تؤكد ذلك .. ثم ما الغريب ؟ .. إلا نقرأ
ونشاهد فى أغلب المجلات وتمثيلات التلفزيون قصص الخيانة
الزوجية .. مما يعنى أن هذه هى القاعدة ؟ ! ..

مازال الذهول يسيطر على « مديحة » :

— أية قرائن تلك التى تتحدثين عنها ؟

قالت بتحد : أولا كيف يمكن أن تسبب لك القلق والعذاب امرأة لم
تربها فى حياتك حتى يمكن أن نقول بينكما خلافات ؟
ثانيا : هذه المرأة ممثلة اغراء ..

ثالثا : قولك عن فترة همومك وضيقك منها « كان ذلك فى حياة
والدك » .. رابعا وهو الأهم .. سالتك كثيرا عن الموضوع فرفضت
الإفشاء به .. بل ونهرتني ، فى تقديرى .. هل يخفى الإنسان شيئا
إلا إذا كان خطيرا جدا ؟

— أو تافها جدا .. كما سترين ..
تهنئت الاستاذة « مديحة » بعد ان حكى لنجلاء الموضوع
بحذافيره .

— خشيت أن أقول لك الاسباب ساعتها حتى لا تسخرى منى فى
نفسك لتفاهتها . خشيت ألا تستطيعى تقدير كافة الظروف والاسباب
والملايسات التى احاطت بالأمر حتى جعلت له هذه الأهمية الكبرى
أيامها .. إذا كنت أنا نفسى بعد انصرافك فى ذلك اليوم مع
صديقك .. استرجعت الموضوع فرأيت ان المشكلة لم تكن بكل هذه
الأهمية قياسا للمشاكل والأزمات التى تعرضت لها بعد ذلك ، لكن
الأمر يشبه ارتباط أغنية ما فى ذهنك بحدث سيئ - مثلا - ما إن
تسمعها ولو بعد سنين حتى تحسى بالانقباض فى داخلك .. ماكدت
فى ذلك اليوم أتذكر فخرية فخرى حتى عادت لى كل المعاناة
القديمة ! ..

— ما أسعدنى بسماع ذلك ياماما .. فأنت تعلمين إلى أى حد كنت
أعبد بابا ، بالله عليك .. هل صدقتنى القول ؟
— بل وأقسم لك - والله على ما أقول شهيد - ان كل ما ذكرته
صحيح .. لقد كان بابا نقطة فى مصحف .. قضيت معه ما يقرب من
ربع قرن ما نظرفيه لامرأة غيرى أبدا .. وإنما كان طواله أحن الأباء
وأیضا أخلص الأزواج وأكثرهم وفاء .
اندفعت « نجلاء » تقبل أمها وهى تهتف :

— لا تتصورى ياماما كم أرحتنى لكانك رفعت من صدرى حجرا
لثقل من الهرم الأكبر !!

غمزت بعينها وهى تنصرف : عن أذنك سأتصل بعمرو ..
مرت أكثر من ساعة و« مديحة » جالسة مكانها - رغم حلول
الظلام - وهى تحس كما لو أن دماءها قد تجمدت داخل عروقها ..
تمتمت بذهول :

— كادت ابنتى تتحطم .. بل تضيق .. حمدا لله أن تصارحنا قبل فوات الأوان .

وتمضى أيام . عادت « نجلاء » . لمرحها القديم .. وعادت الحرارة إلى حدودتها مع « عمرو » بعد طول انقطاع .. نسيت « نجلاء » ما حدث ، لكن « مديحة » لم تنس .. كلما سمعت الضحكات فى الشقة تجلجل .. وكلما رأت السعادة فى العيون تبرق .. وضعت يدها على قلبها وأغضضت عينها وتمتمت :
— الحمد لله ..

فجأة وقعت أحداث مؤسفة أهتمت بتتبعها .. نزلت بنفسها إلى موقع الأحداث لتسجل الحقيقة من جميع الأطراف ، لكن وزارة الداخلية تمنع النشر .. وتغلى « مديحة » .. ليس بسبب منع نشر تحقيقها .. لكن للشائعات التى ملأت البلد .. بعض الإذاعات الأجنبية أذاعت الأحداث بعد أن أضافت إليها ما ضخمها أضعافا مضاعفة . والتقط بعض من سمعوا هذه الإذاعات الأنباء .. فأعادوا روايتها من شخص لآخر .. مرات ومرات .. وفى كل مرة كانت تضاف للرواية بعض التزييفات والمشهيات فى صورة معلومة صغيرة جديدة تضاف للحدث الأصيل ، الأمر الذى سبب توترا بين الناس .. ولم تتوان « مديحة » فى ابداء رأيها بصراحة .. « لو أعلنت الأحداث التى وقعت كما هى ببيان رسمى لقطع دابر كل هذه الشائعات ولهدأت النفوس بدلا من زيادة اشتعالها » .. وهى لم تكتف بابداء هذا رأى فى مجالسها الخاصة . كتبت كل ذلك فى مقالها الأسبوعى .. لكن ماكادت الجريدة تصدر حتى حدثها أكثر من زميل مندهشا من لهجة المقال العنيفة .. فجأة - وأحد الزملاء يحدثها - خطر لها خاطر أزعجها .. هل تأثرت بموضوع فخرية فخرى .. عندما رأت أن أخفائها أمرا صغيرا كاد يتسبب فى أمور جسيمة ؟ وماذا أكثر من أن نتعقد ابنتها من الجنس الآخر وتفقد

ثقتها به . بل بالدنيا كلها فتنتطوى على نفسها حزينة مكتئبة وهي بعد فى هذه السن من ثم بالغت فى نقدها لقرار الوزارة ؟
بعد مكالمات الزملاء جاءت مكالمة وكيل وزارة الداخلية . الذى أبدى دهشته هو الآخر من الهجوم الصارخ الذى حملة مقالها حتى وصل حد الحملة الشعواء ، عقب انتهاء المحادثة وضعت سماعة التليفون وهي تحس بضيق شديد لا .. لم يكن عتاب الوكيل هو السبب . وطننت نفسها منذ البداية ألا تهتم بغضب أحد ، مادامت تكتب ، بموضوعية ولكن . لو أن حظر النشر لم يكن حقا بالخطورة التى تستحق كل ذلك الهجوم .. وانما هى فقط انفعلت بسبب موضوع فخرية فخرى . لكان ذلك خطأ كبيرا .. وبادرة ضعف لا تليق بمن وصلت إلى مكانتها الادبية الرفيعة ، حاولت ان تحلل الموضوع وتزنه .. لكنها لم تستطع ان تخرج من ذاتها تماما ليتمكنها الحكم بحياد تام ..

تبلبلت أفكارها حتى باتت تخشى ان تجربها هذه الأخطاء وهي مغمضة العينين إلى أخطاء جديدة ، لذا فكرت ان تعطى نفسها أجازة من الكتابة حتى تستعيد صفاء ذهنها وهدوءها النفسى .. وهي فى شدة هذا الكرب ... جاءها الفرج .. جاء عن نفس الطريق الذى جاء منه الضيق . التليفون .. كان المتحدث هذه المرة وزير الداخلية نفسه .. الذى قال انه عاد فى ذات اليوم من رحلة خارج القطر .. وطلبها ليعبر لها عن اعجابه بمقالها .. واقتناعه بكل ما جاء فيه ، وتأييده حتى لما حواه من هجوم - يرى انه نابع عن غيرة وطنية شريفة مخلصة فى حب البلد - أخبرها انه يتفق تماما معها فى رأيها عن خطأ سياسة دفن الرعوس فى الرمال بأخفاء المعلومات .. بل وخطورتها ، وشكرها على محاولتها اضاءة الطريق أمام المسؤولين بالتوجيه السليم والنقد البناء . هذه المرة وضعت سماعة التليفون وهي تطلق تنهيدة ارتياح طويلة .

الكوب الذى انكسر

طاب لها ، وهى ترتشف قهوتها على مهل ، ان تتأمل الوجوه من حولها فى ذلك المطعم الفاخر الانيق .. الزبائن أغلبهم كويتيون .. طبعا .. فهذا المطعم معروف بأن أسعاره فاحشة الغلاء .. وباقى الجنسيات تغربوا وجاءوا إلى هذا البلد البترولى للإدخار .. وليس للبعثرة ، هى نفسها .. لولا ان سرقها الوقت لما ارتادته ..

كانت فى آخر جولاتها الشرائية .. ففى الغد لابد من حضورها الحفل الرياضى والثقافى الذى ستقيمه المدرسة بمناسبة انتهاء العام الدراسى .. وبعد الغد ستكون فى الطائرة التى تقلها إلى القاهرة .. بإذن الله ، لذلك استغرقتها المشتريات فلم تنته منها إلا بعد أذان العصر .. ووجدت ان عودتها إلى منزلها ستستغرق وقتا ففكرت ان تتناول غداءها بالخارج ، عادت تجول بنظراتها فى المكان .. على عكس الزبائن لم يكن ضمن الجارسونات كويتى واحد .. لا يعملون فى هذه الاعمال .. أغلبهم فلسطينيون .. وبعضهم مصريون .. عدا واحد يبدو انه لبنانى .. كانت جنسايتهم مطبوعة بوضوح على وجوههم ولكن .. هذا الصبى الصغير .. ما جنسيته .. سحنته تبدو مصرية فقط كيف جاء ؟ فى هذه السن ؟ ..

أحست بغصة فى حلقها وهى تتطلع إليه .. الوحيد الذى لا يبتسم .. لم يتعلم التمثيل بعد .. جميع العاملين فى المحل يبتسمون .. لكنها واثقة بأن ابتساماتهم تشبه بعض الأدوية .. من الظاهر فقط .. مثل ابتسامتها تماما !

فجأة قطعت الموسيقى الشاعرية الخافتة ضجة تحطم شيء زجاجى ، ولم تلبث أن تلتها طرقة صفعات ، والتفتت .. لتجد أحد الجارسونات يتهاى على وجه الصبى الصغير ورأسه .. وأسرع ناحيتهما المتردوتيل الذى حادثهما لحظات ثم بدأ ينهال على الصبى هو الآخر بصفعات أشد وأقسى .. حاولت « شويكار » أن تقنع نفسها بأن لا شأن لها بالموضوع .. وأن مدير المحل حر فى معاملة عماله مثل غيرها من الموجودين والموجودات .. لكنها لم تستطع أن تصبر أكثر من ثوان .. وضعت بعدها الفنجان بعصبية واندفعت ناحية الصبى وهى تصيح !

— ماذا فعل المسكين لتلحقا به كل هذا ؟

بوغت الرجل ثم سرعان ما تمالك نفسه !

— أوقع الصينية من يده فكسركوبا ثمنه حوالى نصف دينار ..

— نصف دينار ؟ .. هون عليك يامتر .. واضف ثمن الكوب على

حسابى ..

صاح الرجل بغضب :

— ليست الفكرة فى دينار أو دينارين .. لكنها ليست المرة الأولى .. فى البداية لفت نظره ثم عنفته .. ثم حجزت ثمن الكوب من أجره .. لكنه لا يريد أن يعتنى بما فى يده أبدا .. اننى أضربه لصالحه .. حتى يصحو لنفسه .. فإذا استمر على هذا الإهمال فلن يقبله أحد فى عمل على الإطلاق ..

غمغمت : أنه طفل .. وعندما يكبر سيتنبه ..

— ليست المسألة مسألة سن بقدر ما هى إهمال وبلاهة وعدم مبالاة .. ومثله لا يستحق اهتمامك .. أرجوك أن تتفصلى بالعودة

لتكملة غداك فهناك زبائن كثيرون ينتظرون خلو مائدة ..
بعد عودتها للمائدة طلبت كوبا من الماء .. فاحضره لها الصبي
وهو يجفف دموعه .. هشت في وجهه وأعطته قطعة شيكولاته ..
أخذها والفرح يلمع في عينيه الصغيرتين .. سألته عن اسمه ورد :
— هاشم ..

— هل انت مصرى ؟

— نعم من شبرا ..

— هل انت هنا وحدك ؟

— معى أمى فقط .. تعمل فى منزل مهندس مصرى .
قالها بذلة وهو يخفض رأسه للأرض .. ثم عاد يرفعه وهو
يستدرك :

— لم تكن تعمل طوال عمرها .. هذا العام فقط .. بعد وفاة
والدى .. أما طيلة حياتها فكانت تلازم منزلها معززة مكرمة . كان
والدى جنديا بالجيش .. جنديا سائقا .. ما كان أعظمه فى ملابسه
الرسمية .. لاسامحه الله المجرم الاثيم ..

— الصهاينة ؟ .. هل استشهد فى الحرب ؟ ..

— بل فى حادث .. سائق عربة نقل أطاح بعربته فصرعه .. ليس
هو فقط .. وايضا الضابط الذى كان يزكب معه .. ثم فر .. الجبان ،
كنت فى المدرسة .. وكنت أمل ان اصبح ضابطا ، لكننى قطعت
دراستى وجئت إلى هنا .. وحمدا لله ان حكومتنا تمنع خروج
الفتيات .. وإلا كانت أمى أحضرت شقيقتى أيضا . لا اهتم
بنفسى .. فانا رجل واتحمل المشاق !..

فجأة التفت ليرى بعض الأكواب الفارغة على مائدة قريبة .. قال
بسرعة مرعوبة :

— عن اذنك .. فالمترا قد نبه على بسرعة جمع أى أكواب تفرغ
فوق أية مائدة ..

جرى بالصينية وحمل الأكواب بحرص شديد .. واختفى بها إلى الداخل وهو يحاذر في سيره ما استطاع ، رغم سنه الغضة بدا وكان تجارب عديدة قد أصابت أعماقه وتركت بصماتها داخله وخارجه ! انتهت من طعامها وقهوتها فنادت « المتردوتيل » لياخذ حسابه .. ومعه منحة سخية مرت لحظات وهو يقف صامتا ثم قال فجأة : — تعرفين سيادتك .. آخر مرة كسر « هاشم » أحد الأكواب .. وخصمت ثمنها من أجره كما قلت لك .. وطبعا أبلغت ذلك لأمه عند حضورها آخر الاسبوع لتسلم أجره .. هل تعرفين سيادتك ماذا فعلت ؟ .. أعطته علة أقسى من علة اليوم أضعاغا مضاعفة .. أمه نفسها .

أحست بلهجته وان كان ظاهرها الاحترام .. إلا أن باطنها ملئ بالمؤاخذة والتقريع لكنها رغم ذلك لم تندم على تدخلها .. على الأقل أوقفت المهزلة التي سماها الرجل الضخم تقويما .. ورائها هي قسوة وجبروتا صارخين .. ألا يكفي أنه وهو في هذه السن يترك بلده ليعمل في بلد بعيد ؟ حقا جميع العاملين في المحل مغتربون أيضا ، لكنهم جميعا كبار ويتحملون مسئولية اتخاذ القرار .. لا يمكن أن تكون هناك شبهة ارغام أو اجبار أو حتى سوق كالانعام ، إنها مثلا .. لم تكن هي التي اتخذت القرار فقط .. بل والحت عليه وحاربت من أجله .. أجل حاربت .. فمعارضة زوجها كانت من القوة بحيث كادت تودى بالمشروع من أساسه ، عندما جاءت تبشره بأن اسمها قد أعلن ضمن المقبولين للاعارة بالكويت .. نظر إليها للحظات بدون فهم .. سأل بدهشة شديدة :

— أى إعارة ؟ .. أين ؟ لمن ؟

— إعارتي أنا طبعا .. وقد قلت لك إلى الكويت .

— ولكن كيف تقبلين .. كيف ومتى رشت نفسك ؟ .. تعلمين أن

عملى كضابط بالقوات المسلحة يمنعنى من السفر معك .

— ومن فكر فى سفرك معى ؟ !

— تسافرين وحدك إذن ؟ !

— وماذا فى ذلك ؟ .. هل أنا طفلة غريبة ؟

— هل انقلبت الدنيا رأسا على عقب ؟ .. كأن المفروض ان اسافر

أنا .. أقصد الرجل .. وتبقى المرأة ترعى الأولاد .

— لكن هذه نظرة متخلفة .. درست فى كلية الهندسة خمس

سنوات .. وكانت لك زميلات فى كل الفروع والتخصصات وبعضهن

خرجن فى بعثات .. هل عدنا إلى مقاييس وقيم الجدات ؟؟

— لكن جرى العرف ..

قاصعته : ليذهب العرف الى الجحيم .. إذا لم يحطم المثقفون

الأفكار المتخلفة فمن يفعل ؟ .. ثم اننى لن اكون أول واحدة ..

زميلات كثيرات سافرن ولم يستطع أزواجهن اللحاق بهن ..

— لكل شخص ظروفه يا شويكار .. كيف تسافرين ؟ ..

ولماذا ؟ .. ومن يرعى الأولاد .

— يجب ان نفكر فى الغد .. هذه الشقة الضيقة مثل العلبه

بغرفها الثلاث .. هل ستكفينا بعد سنوات عندما يكبر الأولاد ؟ ..

نريد خمس غرف .. كيف يمكن ان نجدها فى هذه الأزمة الخانقة ،

وقطعة الأرض التى ورثتها عن أبيك .. كيف نبنيها ؟ .. لو ظلمت

أعمل بمرتبى هذا لما استطعنا ولا بعد عشرين عاما .. بينما لو قبلت

الإعارة لمدة عامين فقط لاستطعنا بناء فيلا .. نسكن ببراح ونترك

شيئا للأولاد من بعدنا .

لكن سفرك وحدك معاناة ضخمة لك .. فلماذا هذه التضحية ؟

— أنت أيضا ستضحى .. بعد عودتك من عملك بدلا من ان

تجدنى أزعاك وأسهر على راحتك ومطالبك ستجد نفسك مطالبا

بمراعاة شئون الأولاد .. لكن ما المانع ان نتعب عامين لنتراح بعد

ذلك ؟

لا تنسى أبدا انها - رغم قوة منطقتها - لم تستطع اقناعه

بسهولة .. استغرق منها الأمر أياما واسابيع استعانت فيها بكل اسلحتها المنطقية والعاطفية والأنتوية ، حتى وافق أخيرا على مضمض . بعد العامين فاجأته بأنها ستسافر للعام الثالث .. قالت وهى تركز عينيها فى عينيه :

— حقى .. كيف أتركه ؟ .. اننى إذن اكون مجنونة .. من تنتهى مدة اعارته بالكامل يفعل كل ما بوسعه كى يمدها .. وأنا .. أتنازل عن عام ؟! .. هذا عدا اننا محتاجون إليه .. وإلا فقل لى .. كيف ستؤثث الفيلا ؟ .. لم اشتر شيئا مثل زميلاتى حيث كنت مضطرة لجمع كل قرش من أجل البناء أه لو رأيت ما أحضرت الزميلات .. ثلاثيات وسجاجيد ونجف وتحف .. ديب فريزر وغيره من الأدوات الحديثة .. انا عاملة واحتاج لهذه الأدوات .. خسارة أن يكون كل ذلك متاحا .. وأرفضه .. بل أدوسه بقدمى .. ليست خسارة فقط .. بل حرام ؟!

أعادت محاولاتها ليوافق على ذلك العام .. صارحها بأنه يخشى ان تكرر بعده مد الإعارة .. طمانته :

— تعلم ان الحكومة جعلت الحد الأقصى للإعارة ثلاثة أعوام فقط .. وبعدها لا امكانية للمد على الإطلاق ...

ووافق .. أيضا على مضمض وهل كان يستطيع الرفض ؟ .. كانوا فعلا بحاجة لاشياء كثيرة سيكون الحصول عليها دون سفرها متعذرا .. زوجة ممتازة هى ، تفكر بنظرة ثاقبة بعيدة الى كل متطلبات أسرتها ، وايضا هى مدرسة ممتازة تعمل بكل جد واخلاص .. حتى لقد قدرت مديرة المدرسة كل هذا فطلبت منها البقاء عامين آخرين . ولما اعتذرت بقوانين الوزارة عرضت عليها فكرة الاستقالة والعمل بعقد شخصى ..

لذلك سافرت للقاهرة فى أجازة نصف العام لتحصل من زوجها على موافقته كى توقع العقد قبل انتهاء الدراسة والإعارة . فكرت

انها لو اخبرته بخطاب فسيرفض .. وانه عليها ان تحشد كل حججها مثل المرتين السابقتين ، وفعلا بمجرد وصولها بدأت عملية جس النبض ؟

— خطرت لى فكرة مدهشة لماذا لا نبني طابقا ثانيا بالفيللا ونؤجره مفروشا ؟ لن يقل دخلنا منه عن خمسائة جنيه شهريا فكر فى المستوى المعيشى الذى سنحققه لأولادنا ولنفسينا بهذا الدخل .. يمكننى بعدها أن اترك العمل نهائيا .. مادمت سأحصل من الشقة شهريا على ما يقرب من مرتبى فى نصف عام .. والأمر عامان فقط .. يمران سريعا مثلما مرت الأعوام الثلاثة الماضية .. تصور .. شىء لم يحدث من قبل قط .. عرضت المديرية ان يكون مرتبى فى العقد الشخصى هو نفس مرتبى فى الإعارة . هل أرفض ؟ انه لجنون ! ..

— بل الجنون أن أقبل ان يظل زواجنا بالمراسلة كل هذه الأعوام .. تعترفين بنفسك بمعانائنا .. كلينا .. وتقولين عامين فقط ثم نسعد .. من يدري كم عاما بقيت فى أعمارنا ؟ ربما كانت هاتان السنان هما آخر ما بقى لى من عمر .. فكيف اضحى بهما ؟ .. عدا ان الطابق الجديد - شىء - كمالى - لسناء فى حاجة - قصوى - إليه .. فمرتباننا يكفياننا كى نعيش عيشة لابس بها .. لا نريد المزيد .. أريدك معى .. ومع الأولاد .. فوجودك معنا أفضل عندى من كل أموال الأرض ..

كان المفروض ان يسعدها سماع ذلك ، لكنها عابت عليه ان يترك التفكير العلمى ليفكر بعاطفته .. فشلت فى ان تحصل منه على الموافقة ، قال لها ساخرا .

— نصحتك المديرية بالاستقالة إذا لم توافق الوزارة على مد الإعارة .. ألم تقل لك أيضا إذا لم يوافق زوجك فاستقيلى من حياتك معه ؟

صاحت : ماذا تقول ؟ ! .. تعرف جيدا اننى استغنى عن عيوني
ولا استغنى عنك أبدا .. انت أيضا لن تستغنى عنى أبدا .
وهم يودعونها بالمطار بكت ابنتها الصغيرة وهى تعانقها :
— اكلمنا جئت تتركيننا مرة أخرى :
وقال الأب وهو يربت كتف ابنته :
— انها اخر مرة .. وعندما تعود بعد شهور قليلة فلن تتركنا ثانية
وابتسمت وهى تسوى خصلة اطارها الهواء من شعره .
— سنتفاهم فى هذا الأمر عندما أعود فى الأجازة ..
ومد يده يبعد يدها بعنف :
— أى تفاهم ؟ .. عندما سكت أعتقدت انك اقتنعت برأى
وصرفت نظرا عن الموضوع .. عموما هانذا اقولها واضحة صريحة
لا لبس فيها .. لن تسافرى بعد نهاية هذا العام هذا قرارى النهائى
ولن أرجع فيه أبدا ..
بوغتت بحدته .. وقبل ان ترد نودى على ركاب الطائرة ..
فاسرعت تقبل الأولاد .. وزوجها أيضا .. لكنها كانت قبلة باردة
للغاية ، فى الطائرة كانت نفسها تمتلىء بالغضب . وكلمات كأنها
المطارق تدق رأسها « هذا قرارى النهائى .. هذا قرارى النهائى »
كيف يقرر هو شيئا يخصها ؟ .. ماذا يظن نفسه ؟ .. وماذا يظنها ؟ ..
أزواجه هى أم جاريته ؟ .. لم تعتد منه هذا الأسلوب من قبل قط ..
ليته حدثها به فى وقت آخر متسع .. اذن لاستطاعت ان ترد على
كلماته .. تعلنه برفضها أياها .. لكنها سترفضها بطريقة أكثر وقعا ..
طريقة عملية ، ضغطت شففتها بأسنانها كانت تأمل أن تمد عملها
هناك الآن أصبحت مصممة على ذلك . بعد أيام وصلها منه خطاب
يفيخ بالرقعة .. اعتذر لها عن كلمات المطار القاسية بأنه لا يريد أن
تبتعد عنه مرة أخرى .. ويكفيه ما قاساه فى سنوات الغياب
الماضية . للحال تبخر غضبها .. وراحت تقبل الخطاب وتبكي .. مع
ذلك عندما سالتها المديرة بعد أيام :

— هل أجهز العقد ؟

ردت بدون أى تردد نعم .. !

قدرت أنها فى فترة الأجازة وفى جو المصيف الساحر ..
ستستطيع اذابة معارضته .. مثل كل مرة !

بعد انصراف المتردوتيل من امامها .. دارت هى براسها تبحث
عن هاشم .. وجدته يختلس النظر إليها وكأنه يتعبد ، فجأة
اكتشفت شيئا مدهشا .. نظرتة وملامحه تشبه نظرة ابنها الصغير
الذى يقاربه فى العمر . بل وحتى فى الاسم .. هشام ! .. هل لهذا
دافعت عنه وتعاظفت معه ؟ هل احس عقلها الباطن بالشبه قبل
عقلها الواعى ؟

ترى هل تعرض « هشام » للصفع فى غيبتها عنه كما تعرض هذا
الولد شبيهه ؟ .. لكن ابنها لا يعمل أجيرا عند أحد .. بيد أن قلبها
لا يتركها طويلا لاطمئنانها .. يهجس .. الصفع يمكن ان يتوقع لغير
الأجراء .. دادثه مثلا ربما ضايقها فنفسه فيه معاناتها مع الأقدار ..
فراش المدرسة إذا مزق بعض الأوراق بعد انتهائه من عملية
النظافة .. ابن سائس الجراج الذى يكبره كثيرا جسما وعمرا .. مع
ذلك يفرض نفسه عليه وعلى أصدقائه فى بعض العابهم .. ومن
يرفض منهم لا يسلم من اذاه .. زوجة البواب الحريصة - مثل
حرصها على عينيها - على نظافة وهدوء السلم ، وطبعا والده
مشغول عن كل ذلك بعمله الذى يستغرق كل وقته .

جاء « هاشم » يعيد إليها قفازا الذى سقط منها دون ان تشعر
ولمحه هو .. مدت يديها وامسكت بوجهه و .. قبلته .. نظر إليها
الولد مدهوشا .. مسكين أنت يا هاشم .. كل عدة أشهر تجد واحدة
تشعرك بذرة من الحنان .. للحظات .. ثم تترك وتضى لحال
سبيلها ؟ .. أعطته قطعة من النقود وخرجت .

فى منزلها جلست تكتب بضعة خطابات لعدد من الأقارب لم تكتب

لهم من سنين .. ثم جمعت مجلات الاسبوع كافة لتقرأها صفحة صفحة .. أخيرا جلست تشاهد التلفزيون .. حاولت الا تترك نفسها للأفكار ثانية واحدة حتى غلبها النوم !

فى اليوم التالى تابعت فى المدرسة برنامج الحفل ، وبعد انتهائه ذهبت إلى مكتب المديرية لتوقيع العقد .. فتحت حقيبتها لتخرج القلم .. بينما أخذت المديرية تقلب فى أحد الدوسيهات فجأة ظهرت أمامها صورة زوجها .. كان يقول لها « وجودك معنا أهم عندى من كل نقود الأرض .. من يدرى كم عاما بقيت فى أعمارنا » المديرية تتحدث لكن كلماتها كانت تموت عند عتبتي أذنى شويكار .. ثم تنحسر جثثها فى فتحتى الأذنين فتسدهما تماما .. صورة هاشم تظهر الى جوار صورة زوجها .. كان يجفف دموعه وهو يقول « السائق الجبان قتل أبى والضابط الذى معه .. أمى كانت معززة مكربة » .. قبل ان يتم كلامه يتعثر وتقع منه الصينية .. الكوب يتحطم . رغم انسداد أذنيها تسمع صوت تحطمه مدويا .. كأنها عمارة تتحطم وليس مجرد كوب .. فجأة يتحول هاشم إلى هشام .. هجم عليه المتردوتيل كى يضربه .. رفعت يدها كأنها تهتم بإبعاده فإذا بالجميع يختفون .. أعادت القلم إلى حقيبتها وأغلقتها . مدت المديرية يدها بالعقد فأخذته منها ووضعته جانبا .. وجدت نفسها تقول كلاما لم تعده من قبل .. وكأن داخلها امرأة أخرى هى التى راحت تتحدث :

— أسفة جدا ياسيدتى .. أرسل لى زوجى خطابا - وصلنى اليوم فقط - يفيدنى فيه بأن والدته قد مرضت مرضا شديدا .. ومن ثم فلن يعود فى استطاعتها رعاية أولادنا ، لذلك فإنه يتحتم على ان أبقى فى مصر .. معهم ، فى الحقيقة لقد أحببتكم كثيرا .. وأحببت العمل معكم .. لكننى لأسفى الشديد لا أستطيع .. لا أستطيع .



زهرة فوق القلب

نفس النادى .. ونفس الجزء الظليل .. تحت نفس
الشجرة .. مع ذلك يستشعر نفس البهجة ، مع
أنه على موعد معها .. مع « أمنية » .. ! أمنية ..
كما اعتاد أن يناديها ، فى هذا النادى رآها أول
مرة .. وفى هذا النادى أيضا بزغت نبتة الحب فى
قلبه وقلبيها ، ثم ظلت تنمو حتى كادت تبلغ
أشجارها النادى الباسقة طولا ! وثمر الشهور .. هل كانت حقا
شهورا ؟ ، لفرط ما مرت سريعا يشعر كأنها كانت ساعات .. ولفرط
ما أترع من شهد سعادتها يتخيلها سنوات ، كان يفكر أن تجلس
أمامه ويدها فى يده .. حتى يحس بمئات الأزهار من حوله تتفتح ..
وبأنغام سمفونية ملائكية كما لو كانت تزفهما .. فى حين تحملهما
نسمات كأنها جاءت من الجنة .. ليحلقا عاليا .. بعيدا عن الأرض ..
وكل البشر حولهما .. !!

حب ولا كل الحب .. لا يعتقد أبدا أن آدميين قبلهما أحبا مثل
حبهما لا روميو وجوليت .. ولا قيس وليلى .. ولا .. ولا .. ولا ..
ليته كان ممن يستطيعون التعامل مع القلم .. شعرا كان أو نثرا ..
إذن لما بخل على الناس أن يمتعهم بالاطلاع على مشاعر لم يسمعوها
بها ولا حتى فى أكثر الروايات رومانسية ، مع الأسف كل ما بوسعه
التعامل معه كان الآلات .. آلات طياراته يمتطيها ويرتفع بها
وأحلامه تسابقه فى الإرتفاع .. فتسبقه فى كل مرة .. ليلتقى فيها
بأمنية .. وبأعذب الكلمات يتناجيان ..

لم تكن كلمات المناجاة مهمة دائما .. أحيانا كانا يجلسان

بالساعات وقد راحت عيناه تسبحان فى بحيرتى عينيها الزرقاوين العميقتى . الأغوار .. وتطول السباحة .. وتطول .. لكنه أبدا لا يخشى أن يغرق .. أو حتى يضل طريقه ، عندما تنتهى السباحة .. يعوب « جمال » أدراجه يحس أنه قد قال كل ما عنده .. وشرح لها أحاسيسه وخلجاته وأيضا تلقى مشاعرها ومكونات قلبها بأفصح من أى كلام !

شئ آخر غير النظرات كان يشركه فى شرح عاطفته .. فيصلول فى ذلك ويجول مترافعا بأبلغ لغة .. زهرة التيوليب النادرة .. التى من أجلها أصبح يسعد بسفرياته إلى هولندا أكثر من أى بلد آخر .. فهو فى كل رحلة إليها كان يحمل إلى أمنية زهرة منها ، رغم جمال الزهرة الرائع .. فقد كانت تزداد جمالا فوق جمال ، حين ترشقها أمنية وسط خصلات شعرها الكستنائى .. الذى يداعبه الهواء فيتطاير بدلال ، ولقد كان يمكن أن ينسى أى شئ ولا ينسى أن يقدمها إلى أمنية .. لتنوب عنه - الزهرة - فى توصيل قلبته إلى شعرها الناعم كالحرير .. إلى أن كان ذلك اليوم .. الذى ذكر لها فيه أمله أن يتوج هذا الحب العظيم بالزواج .. لحظتها توهجت وجناتها حتى أصبح لهما لون الضوء الذى تغلفه ستارة وردية ، لم يكن هناك من هو أسعد منها حتى أجابته حين كرر سؤاله عن رأيها :

— لو لم نكن وسط الناس لألقيت بنفسى بين ذراعيك لتعرف الجواب ! ..

إذن ما الذى حدث بعد ذلك ؟ ..

هل أعلننا خطبتهما ليزيدا سعادتهما أم ليبيدا تلك السعادة هباء منثورا ؟ !

تدخلت أمه وأمها فأفسدتا كل شئ ، عرف أيامها لماذا كان مؤلفو قصص الحب الخيالية القديمة ينهونها بأن يختطف البطل محبوبته ويهرب بها فوق حصان أبيض .. قطعا كان الهرب من تسلط الأمهات

والحموات ! .. وليت تلك النهاية حلت ممكنة فى زماننا هذا .. إذن لما تردد أن يفعلها .. ولكن ..

أقبل الجرسون يقدم إليه القهوة .. فازاحت يده العلبة التى تحوى زهرته الثمينة .. فسقطت على الأرض ، رغم كل الخلافات لم ينس إحضار الزهرة المحببة إليها هذه المرة أيضا .. من يدرى .. ربما كانت رسول الوئام .. فيستطيع بها أن يعيد الهدوء لحياتهما ، لكنه أحس بالتشاؤم عندما سقطت على الأرض .. رغم أن علبتها قد حميتها فلم تصب بسوء .

قطع تفكيره خطوات بجواره .. كانت هى « أمنية » بذاتها .. مع ذلك لم تفتتح أزهار ولا عزفت أنغام وما هبت نسيمات .. كانت معها أمها ! الأم بطبيعتها ممتلئة القوام كثيرا لكنها بدت لعينه فى هذا اليوم أضخم وأضخم .. بدأت الأم الحديث :

— قال لنا طارق أنك تريدنا اليوم ..

رد بأدب : كنت أريد أمنية .

وارتفع صوتها : إذن أنا « تلقيحة » .. أحاول أن أفرض نفسى عليك ؟ ! ..

— أبدا يانينة .. لا أقصد ذلك أبدا .. لكن ..

قاطعته بتحد : وهل تستطيع أن تقصد ذلك ؟ ! ..

— كنت أريد أن أصفى ما بينى وبين أمنية ..

— ولماذا لا تفعل وأنا معها ؟ أم تراك تريد أن تستفرد بها ؟ .

— أستفرد ؟ ! .. هذا تعبير يمكن أن يستعمل فى صفقة

تجارية .. لكنه ليس لائقا بالمرءة فى موضوع خطبة ..

— ما شاء الله .. كأنى بك تريد أن تعطينى درسا فيما يليق

وما لا يليق ، وكان الأولى بك أن توجه دروسك هذه للسيدة والدتك ..

التي بخلت النادى منذ أيام .. فإذا بها تتظاهر بعدم رؤيتى حتى

لا تبدأ بتحييتى .. ولم أفطن لحظتها لمغزى تصرفها .. ففقت أنا من

مكانى وذهبت إلى مائدتها لأحييها .. وما أشد ما ندمت على ذلك فيما بعد .. !

— وما هو بالله عليك مغزى تصرفها ؟ !

— طبعا تقصد التعالى على .. أو إذلالى .. ما عاشت ولا كانت حتى تفعل !! ..

— تذكرى يانيّة أنك تتحدثين عن والدتى .. وليست هذه أول مرة تخطئين فيها فى حقها .. وحقى ..
قالت بتهكم :

— والمطلوب ؟ .

— أظن المطلوب لا يحتاج لسؤال .. فمن يخطئ عليه أن يعتذر ..

— لا .. أنك تحلم .. فالاعتذار واجب على الصغار .. أما فى سننى فمن حقى أن أتصرف كما يحلولى ! .
ويلتفت جمال إلى أمنية قائلا بسخرية :

— يبدو أن المسرحية التى تدور أمامك الآن تستهويك كثيرا ..
حتى أنك لا تنبسين بأى تعليق !
قالت الأم بحدة :

— تريد أن تؤلب ابنتى ضدى ؟

— هذا ليس تاليبا .. تذكرين الخميس الماضى حين أخطأت أُمى فى حَقك واعترضت أنا على حديثها .

— أه .. لقد دهشت يومها .. لكنى فهمت الآن لم فعلت ذلك .. كى توغز لأمنية أن تعترض بدورها على كلامى ، بل أكاد أجزم أنها كانت تمثيلية متفقا عليها بينكما ، ولكن خاب فالك .. فأبنتى لا تخرج عن طوعى أبدا ..

— شىء جميل جدا .. يا فرحتى بزوجة لم تطفم بعد من رضاعة أوامر أمها ..

خبطت الأم على صدرها :

— كانى بك تنعى حظك ؟ .. لكن الخطأ ليس خطاك .. وإنما خطأ
ابنتى الساذجة التى ترفض عريسا لقطة مثل « شريف » يملك الشقة
والسيارة الفارهة والشبكة والدخل الكبير .. من أجل ذلك الوهم
الذى تسميه بالدب !

— إذن فهذا هو السبب فى محاولتك اصطياد أبة هفوة لى .. كى
تنقلى العطاء على العريس الغنى !

وتتظاهر الأم بالآلم الشديد وهى توجه حديثها لابنتها :

— أهكذا يا أمنية .. تقبلين أن أهان هكذا أمامك ؟

وتهتف أمنية بخفوت :

— لا يا جمال .. لا أقبل إهانة أمى .. كرامتها قبل كل شيء ! ..

— أخيرا نطقت يا أمنية ؟ .. لنقول لى أن كرامة والدتك قبل كل

شيء ؟ قبل حبنا ؟ بالمناسبة هل تذكرين حبنا يا أمنية .. هل

تذكرين وعودنا وعهودنا .. وأمانينا وأحلامنا .. التى سهرنا الليالى

فى تشييدها ؟ .. أعتقد أن هذه المائدة وتلك الكراسى مازالت تذكر كل

هذا !!

— لو أنك تحبنى للدرجة التى كنت تدعيها لحاولت إرضاء أمى ..

بدلا من هذا الصدام بينكما كلما التقينا ..

— يشهد الله أننى كثيرا ما حاولت .. لكننى كلما اقتربت منها

خطوة .. ابتعدت هى خطوتين ويبدو أنها وضعت لها هدفا لا تحيد

عنه .. محاولة التفريق بيننا !

قالت الأم فى صرامة :

— اننى الآن لا أحاول ذلك أبدا .. لكنى أصر عليه .. لآنك شخص

غير مهذب !

— احتججت يا أمنية انتصارا لكرامة أمك .. فماذا عن إهانة

كرامتى أنا ؟

قالت أمنية والدموع فى عينيها :
— كنت كفيلة بالاحتجاج على أمى لشدتها معك .. لولا أنك أنت
الذى استفزتها .

وهكذا .. ظل الخلاف يتصاعد بين الملتفين حول المائدة
المستديرة بالنادى ، وعلا جدا صوت الكرامة .. ليخفت كثيرا صوت
الحب .. وبدلاً من أن ينتهى هذا اللقاء - الذى سعى إليه جمال -
بتصفية الجو بين الخطيبين الحبيبين .. انتهى إلى طريق مسدود
طريق غربت عنه السعادة إلى مجهول .. دون أى أمل فى شروق ،
وعندما بدا مذاق كل شىء يضيع ويتلاشى .. قام جمال من مقعده ..
قال والأسى يوشى حوافى كلماته :

— وداعاً يا أمنية .. لن ترينى بعد اليوم ، وعندما تجمعين يوماً
ما ضاع منك .. ابحثى فيه عنى ! .
ردت أمنية ساهمة :

— انتظر يا جمال .. لتأخذ زهرتك معك ..

قال فى دهشة :

— أخذاً ؟ !

قالت بصوت باك وهى تمسح بيدها على شعرها .. حيث اعتادت
أن ترشق الزهرة الفاتنة ..

— هل ترى أنه مازالت هناك حاجة لوجودها ؟

— ولم لا ؟ الزهور توضع أيضاً على القبور ..

فتح العلبة الأنيقة وأخرج الزهور .. ليناولها إياها .. قال وهو
يشير تجاهها باصبعه :

— ضعها هنا .. على صدرك .. فوق قلبك تماماً .. ذلك القلب
الذى أصبح قبراً .. بعد أن وسدت داخله .. حبنا الذى كان .





الأول والأخير

فتحت عينيها واستوت قاعدة فى فراشها وهى
تحس برأسها يدور كما لو كانت تركب إحدى
مراجيح الهواء ، أخذت تتلفت ببصرها محاولة
أن تتبين أين هى .. حتى أدركت أخيرا أنها فى
غرفتها ، أو الغرفة التى كانت غرفتها قبل أن
تتزوج ..

وتساءلت بينها وبين نفسها .. « ترى ما الذى أتى بى إلى هنا ؟ »
ولم تجد أحدا بالحجرة فأتجهت بسؤالها إلى الأثاث .. لكنه بدا
وكأنه هو الذى يسألها .. لماذا عدت ثانية .. وقد تغير كل شيء ؟ !
لم يكن بالحجرة الكثير من الأثاث .. لكن كل قطعة كان لها فى
نفسها ذكريات .. حلوة أو مرة هذه الذكريات ؟ .. لم تستطع أن
تقطع بالضبط ، وعادت تدور بعينيها فى الحجرة حتى وقعتا على
النافذة ، وحينئذ شعرت بغصة فى حلقها .. لقد عرفتها هذه النافذة
بفريد فأفسد عليها أياما كثيرة من حياتها ! ..

كانت نافذته تقابل نافذتها تماما .. ولطالما وقفت قبالتها تستمع
إلى حديثه وإشاراته ، وتتلقى رسائله التى كان يكرر فيها دائما طلبه
باللقاء فى الخارج .. لكنها كانت ترفض رغم حبها له لكونها من أسرة
محافضة ..

.. هل أحبته حقا ؟ .. لم تعرف إلا بعد فوات الأوان انه لم يكن حبا .. لكنها راحت تعزى نفسها : هل تستطيع أعقل العاقلات أن تزعم أنها قد انتقلت من الطفولة إلى النضج فى قفزة واحدة .. دون أن تمر بمرحلة المراهقة بكل أوهامها وخيالاتها ؟ .. لم يكن غريبا إذن أن تسعدها مغامراته الصغيرة عندما يترصد لها أحيانا أثناء عودتها من المدرسة ليلحف فى طلبه حتى توافقه أخيرا فيصطحبها إلى أحد الكازينوهات .. حيث يروح يبتئها حبه ورغبته فى الزواج منها .. وقد عاهدته بدورها على أن تكون له .. لكنها اشترطت عليه عدم اللقاء فى الخارج ، وأن يجتهد فى دراسته حتى يتخرج سريعا - وكان قد بقى له عامان - فيحققا آمالهما ، تلك الآمال التى كانت مدار أحلامها .. فى يقظتها ومنامها .. كان « فريد » دائما فى كل حلم .. مرة تراه بجوارها فى الكوشة وقد ارتدى ثياب العرس .. وأخرى تراه معها فى حديقة عشهما الجميل .. وثالثة ..

ما كادت تصل فى تفكيرها إلى هذا الحد حتى سمعت صوتا عاليا .. التفتت إلى مصدره فإذا بمكتبها الصغير وقد فتح الهواء بابه بعنف .. لتظل عيناها مثبتتين عليه مدة طويلة .. كأنهما قد شدتا إليه بخيوط غير منظورة .. ! كيف نسيته ؟ ! .. لقد كانت حركة بابه بهذا العنف بمثابة احتجاج منه على هذا النسيان ! .. أجل .. لم تكن أحلامها كلها وقفا على « فريد » .. بل نصفها فقط .. والنصف الآخر لهوايتها التى أحببتها لدرجة الجنون .. تاليف القصص ! .. كانت تقضى الساعات الطويلة جالسة إلى مكتبها تكتب .. وساعات طويلة أخرى تحلم باليوم الذى ستصبح فيه كاتبة مشهورة .. تنشر المجلات .. إسمها تحت قصصها .. وتتنافس شركات السينما والتلفزيون فى الحصول على قصة منها ! ..

كانت شديدة الثقة بموهبتها .. ثقة وصلت حد الاعتقاد بأن قصصها سوف تغير مجرى القصة فى مصر .. ! وراحت تبعث بنتاج

قلمها إلى جميع المجالات .. خاصة مجلة « المستقبل » . لكن مرت
الشهور دون أن ينشر لها أى شئ .. وبالتالي لم تغير قصصها
مجرى القصة .. وإنما غيرت شيئاً آخر .. الرجل الذى يرتدى بذلة
السهرة ويجلس بجوارها فى الكوشة !! كانت تظنه سيكون
« فريد » .. لكنه كان دكتور « خالد » .. ولعل نوال كانت أول فتاة
تكتب قصصاً لا تؤهلها لأن تكون كاتبة قصصية مشهورة .. بل
تؤهلها لأن تكون زوجة كاتب قصصى وروائى مشهور ! فقد كان
« خالد » هو بنفسه رئيس تحرير مجلة المستقبل ..

قابله لأول مرة فى إحدى المكتبات .. حيث ذهبت لتشتري
أحدث كتاب له .. عندما دخل هو بشخصه وطلب بعض الكتب ..
تقدمت إليه على استحياء لتعبر له عن إعجابها الشديد بكتاباته ..
لكنها مالبثت بعد أن تشجعت أن راحت تهاجمه لعدم رده على
قصصها ! .. وما كان أرق ابتسامته وهو يؤكد لها :

— ربما ضاعت فى البريد .. فأننا لم أتسلم شيئاً مما قلت .. هل
معك الآن بعض كتاباتك ؟ ..

واجابت بالنفى طبعاً .. ولم يفترقا يوماً إلا على وعد بأن
يستقبلها فى مكتبه بعد يومين ومعها إحدى قصصها . وعندما قرأها
أشار ببعض التعديل .. ثم لما عادت إليه بعد التعديل نصح بتعديل
جديد .. وكان دائماً يشجعها على الإكثار من القراءة والكتابة ، وكثر
تردها عليه .. وفى إحدى المرات نحى الورق جانباً وهو يقول :

— فلنتحدث فيما هو أهم ..

وقالت فى شئ من الاستياء : اننى لا أجد ما هو أهم ..
فاقترب منها وهو يقول :

— لكنى أنا أجد .. اسمعى يا نوال .. رغم اننى كاتب .. صناعتى
صياغة الكلمات المنمقة على لسان أبطالى .. إلا أننى لا أجد كلمة
واحدة منها أقولها الآن .. ربما ليقيني أن العاطفة التى أحسها

فحوك ليست فى حاجة لتجميل ولا تنميق ! ..
وسكت لحظة كأنما يسترد أنفاسه ثم استأنف :
— نوال .. اننى أحبك .. وأريد أن أتزوجك .. ما رأيك ؟
وعندما رأى الدهشة على وجهها استطرد :
— أعرف أننى أكبرك بعض الشيء .. لكن تأكدى أننى ساكس
كل جهدى ووقتى لإسعادك ..
سكت قليلا منتظرا ردها فى لهفة مشوبة بالرجاء .. وبعد لاي
استطاعت أن تنطق كلمة واحدة .
— بسافكر ..

وقد فكرت .. فكرت طويلا .. سبعة أيام بلياليها ، كانت فى حيرة
بين أملين ، حبها لفريد وهوايتها ، فقد قدرت أنها إذا تزوجت من
خالد .. فإنه بالطبع سيفتح لها صفحات مجلته .. فيفتح أمامها
عندئذ باب المجد .. ثم يأخذ بيدها ويساندها فى الصعود حتى
قمته ! ..

أخيرا توصلت إلى قرار .. لكن لم تكن موافقتها على الزواج من
« خالد » بسبب خصامها فى الأسبوع السابق مع « فريد » - عندما
ظهرت نتيجة امتحانه فإذا به راسب هذا العام أيضا .. الأمر الذى
دعاها لمصارحته بأن الذى يرغب فى الزواج لا يضيع وقته بهذا
الشكل ، وإنما كانت الموافقة ترجيحاً للأهم على المهم . كانت فى كل
أحلامها من زمان تحس أن أمها الأول والأكبر هو هوايتها للكتابة ..
وأن حبها لفريد يأتى فى المقام الثانى ..

ووافقت والدتها أيضا .. رغم أن « نوال » كانت فى التاسعة
عشرة و« خالد » فى السادسة والثلاثين .. وقد دخل جسمه فى حرب
مع الزمن .. كسب هو بعض مواقعها .. حيث كانت تبدو عليه
الصحة والحيوية .. لكن هزمت فيها عيناه واستعاننا بحليف قوى
من النظارات السميكة حتى يستطيع الاستمرار فى الحرب .

أما شعره فقد تفهقر أمام الزمن الزاحف ثم تحصن فى أواخر رأسه ..
مع ذلك استطاع العدو-التسلل بلونه الأبيض حتى فى داخل هذه
الحصون الأخيرة السوداء ! ..

لكن يبدو أن الوالدة - وقد ثقلت عليها المسؤولية بعد وفاة
رب الأسرة الذى ترك لها عدا « نوال » صبيين فى العاشرة
والسابعة . كانت ترى أن المركز المرموق والمرتب الكبير خير من
الشباب والجمال .. بل ولم تجد مانعا من التعجيل بالزفاف لمدامت
العروس الصغيرة لم تستطع بمجموعها المتواضع - الالتحاق
بكلية الآداب سوى منتسبة ، وهكذا أصبحت « نوال » زوجة
للدكتور « خالد » وانتقلت إلى فيلته الأنيقة ..

ومر شهر الغسل سريعا .. وبعدها لم تضيع الوقت فعكفت على
الكتابة .. كان « خالد » يخرج إلى عمله فى الصباح ، وتسرع هى
إلى غرفة المكتب لتقفله خلفها وتروح تكتب .. ثم تمزق ما كتبه
لتعيد كتابته من جديد .. حتى إذا انتهت من إحدى القصص دفعت
بها إلى زوجها لينشرها لها بالمجلة .. وكان يبدى بعض الملاحظات
وأخيرا يطلب منها كتابة قصة أخرى غيرها .. وكتبت غيرها
وغیرها .. لكنه لم يرض قط عن شيء من إنتاجها .. !

تنهدت وهى تستعيد فى خاطرها الظنون التى خامرتها أيامها ..
هى الأنانية بلا شك .. ضليقة أن تنشغل بشيء آخر سواه ..
لا يريد أن تولى هوايتها بعض اهتمامها .. بل يريد أن يكون هو
محور الاهتمام كله ، طبعاً أظهرت له استيائها .. عندئذ وعدها بنشر
إحدى القصص بعد أن يصلح من أسلوبها .. وحين عرض عليها
القصة بعد التصليح .. لم تجد فيها شيئا من قصتها ! وعندما
جاهرته برأيها هذا إذ به يخرج لأول مرة عن هدوئه ليصبح فيها
بضيق شديد :

— أرجوك اسمعيني .. كنت أعتقد أنك بعد الزواج ستتعلقين

وتتركين لعب الأطفال هذا الذى تفعلينه .. غير انى عندما رايت شدة
تعلقك به حاولت كثيرا أن أوجهك .. لكن لا فائدة .. ليس عندك
استعداد بالمرة .. لم اكن اود أن أصدمك لكن كان لابد أن تفهمى
نفسك من ردودى عليك انك لن تكونى قصصية أبدا .. اتفهمين ؟
أبدا .. لا تملكين الموهبة ولاسعة الخيال ولا الاسلوب الشائق
الجذاب .. هذا الفن لا تصلحين له إطلاقا فلا داعى لأن تتعبى نفسك
وتتعبينى معك !

كادت تصعق .. كان كلامه كالقنبلة .. أطاحت بكل الامانى التى
أنفقت الليالى الطوال فى تشييدها .. فجلست تبكى ، واقترب منها
حيث راح يربت على رأسها بحنان وهو يجفف دموعها ويعتذر ..
لكنها صرخت فى وجهه :

— كان لابد أن تصارحنى بكل هذا من أول الأمر .. قبل الزواج .

— وما الفرق ؟ .. ما الذى كان سيتغير ؟

— كل شيء كان سيتغير .. أحب أن تعرف أن مساعدتك لى فى

النشر كانت هى السبب الوحيد لزواجى بك ! ..

كان ردها عليه رد المثل .. لمحت آثاره فى استقاعه وذهو له .. بدا
كشخص ضرب على أم رأسه فجأة .. وظل برهة صامتا .. ثم تركها
وانسحب إلى حجرته ، أثناء العشاء لم يحدثها إلا الحديث
الضرورى .. كان متأثرا جدا مما قالت ، لكنه فى اليوم التالى غير
خطته وأخذ يظهر لها حبه ورعايته ..

مضت أيام حاول فيها من جانبه محاولات عدة لكسب حبها ..
لكنها أوصدت قلبها دونه .. إذ كان يحز فى نفسها اعتقادها أنها قد
خدعت فى هذا الزواج غير المتكافىء ، بعدها كف عن تلك
المحاولات لأنذا بكبريائه كشخص يشعر أنه قد أهين فى عواطفه ..
من يومها حياتهما أصبحت رسمية .. واتخذت « نوال » حجرة
مستقلة لا تبرحها مادامت فى المنزل .. فقد غشى النفور مشاعرها

نحوه .. وراحت تنظر إليه على أنه غرر بها .. فلو أنه لم يعترض حياتها لتزوجت « فريد » الذى أحبته ولحققت على الأقل أملها الثانى .. لكنه كمن يقول عنه المثل « لا منه ولا كفاية شره ! » وكان كل يوم يمر يزيد الهوة اتساعا بينهما حتى رأت « نوال » أنه لم يعد هناك داع لأن يربطها رباط الزواج برجل تكرهه .. فطالبته بالطلاق .. وما كان أسرع منه بالموافقة متعللا بأنه لا يريد إلا سعادتها .. وقد أدهشتها جدا هذه الموافقة السريعة حتى شككتها فى أن غياب الطويل بالخارج فى الفترة الأخيرة سببه العمل كما يدعى .. بل رجحت أن هناك حبا جديدا فى حياته .. حقا إن الرجال لا يعرفون الوفاء ! .. وإن كان قد أدهشها من « خالد » موافقته بهذه السهولة على الطلاق .. فقد أدهشها من نفسها أكثر ضيقها بهذه الموافقة .. وغيرتها من فكرة وجود حب جديد فى حياته .. إلا أنهما على أى حال حددا يوم الطلاق ..

لكن حدث قبل هذا الموعد بيومين أن مرضت أم « نوال » مرضا شديدا .. وما كاد « خالد » يعلم حتى ألغى كافة مواعيده وذهب مع « نوال » ليعوداها .. قالت الأم من بين آلامها :

— لو أننى مت « يانوال » فاموت وأنا مطمئنة تماما عليك .. خالد رجل بمعنى الكلمة .. لكن الأولاد .. خللى بالك منهم ، خالد .. أنا لن أوصيك على نوال .. كما أرى أنت تضعها داخل عينيك .. لكنى أوصيك على يوسف وحسين .. اعتبرهما أخوك الصغيرين .. — أنت بخير يانينا .. وإن شاء الله ستشفين قريبا .. أما يوسف وحسين فهما أخاوى الصغيران فعلا ..

قبل أن تطلب « نوال » من زوجها الموافقة على بقائها بجوار والدتها طلب هو منها ذلك . قال لها وهى توصله حتى السلم :

— طبعاً موضوع الطلاق تنسيه نهائياً هذه الأيام .. حتى تشفى والدتك تماما .. لا داعى لأن نحملها المزيد من الهموم ..

طيلة مرض الأم و « خالد » يتردد عليها يوميا .. وازدادت عنايته فعلا بالصبيين وشئونهما ودراستهما .. بعد أيام بدأت صحة الأم تتحسن فطلبت من « نوال » العودة إلى منزلها .. لكنها رفضت حتى تشفى تماما .. وأيدها « خالد » فى ذلك ..

طبعاً خلال هذه الأيام كانت ترى « فريد » دائماً من نافذتها .. وأخذت تحن للماضى وتذكر أيامه بالحسرة متمنية أن تعود .. وكل إنسان يفشل فى تحقيق أمله الأول يتجه بكلية للامل الثانى .. لذلك سعت كثيراً عندما قابلت « فريد » صدفة وهى فى طريقها يوما لإحدى الصيدليات .. حتى راح قلبها يدق بشدة وهى ترد تحيته بابتسامة واسعة .. سألها وهما يسيران متجاورين :

— هل أنت غضبى من زوجك ؟

— لا .. ماما متعبة وجئت كى أرهاها ..

— خسارة .. ظننتك غضبى . أو حتى طلقت .. وعادت لى آمال

زمان !!

تنهدت : هل مازاح .. يعود ؟

قال فى حماس : يعود جدا .. لم لا ؟ .. أنا مازلت أحبك أكثر من

زمان ..

وأفضت إليه بأن زواجها قد فشل .. وانها وزوجها بسبيلهما للافتراق ففرح جدا ، وهكذا جددا العهود الماضية .. وتاكيدا لذلك دعاها لنزهة قصيرة يحتفلان فيها بعودة المياه إلى مجاريها بينهما ، وعودة الحياة إلى قلبه .. لكنها أفهمته بأن ضميرها لا يسمح بهذا .. واستمهلته حتى يتم الطلاق .. بيد أن ذلك لم يمنعه من تحيتها كل صباح من النافذة .. كما عادت إليها رسائله الطائرة .. يبحث فيها غرامه . ويشكو لها لهيب النار التى عليها ينتظر تحقيق الحلم القديم .. !

عندما استطاعت الأم مغادرة الفراش .. صممت على عودة

« نوال » إلى منزلها .. وهناك بدأ « فريد » يتصل بها تليفونيا .. رغم مطالببتها الدائمة له بالكف عن ذلك ، وفجأة انقطعت محادثاته .. فشكرت له « نوال » ذلك إذ ظننته استجاب أخيرا لصوت العقل ، حتى حدث أن ذهبت يوما إلى الكازينو .. وقادتها قدمها إلى ركنها المفضل مع « فريد » خلف إحدى الأشجار الباسقة ، لتفاجأ به يجلس مع فتاة أخرى وقد راح يصب في أذنها كلماته المعسولة .. نفس الكلمات التي كان يردد لها ، لا تنقص حرفا ولا تزيد .. حتى فكرت أنه ربما يكون قد أخفى في أحد جيوبه جراففونا سجل على أسطواناته هذه الكلمات !

واحست كأن خنجرا قد أغمد في قلبها .. لكن لدهشتها لم يقتلها هذا الخنجر .. وحتى لم يجرحها .. بل لقد شفاها .. كأنه مبضع جراح ماهر .. استأصل به الوهم من قلبها .. وأزال الغشاوة عن عينيها .. فاستطاعت أن ترى « فريد » على حقيقته : وتعرف حبه المزعوم لها على حقيقته أيضا . بل وأدركت أنها أيضا لم تكن تحبه .. وإلا لما قابلت خيانتها لها بهذا الاستخفاف ! .. أكثر من هذا تأكدت أنها لم تحبه يوما .. وإلا لما تركته بسهولة إرضاء لهوايتها .. إذن لم يكن حبها له في الماضي أكثر من لعب أطفال .. وفي الحاضر أكثر من محاولة لتضميد كرامتها .. !

الحق أنها ساعتها كفرت بالحب كله واعتقدت أنه ليس أكثر من لهو وعبث .. لكنها عادت وأدركت مدى خطأ هذا الظن عندما استرجعت تصرفات « خالد » معها عندما أحبها .. لم تكن لهوا وعبثا قط ، وإنما كانت دليل حب صادق .. من قلب مخلص .. لقد طلب منها الزواج في ذات اللحظة التي صارحها فيها بحبه .. لم يفرقها بكلمات الحب والغرام وإنما أغرقها بحنانه ورعايته .. لم يكن يردد لها كثيرا أنه يحبها .. لكن اهتمامه بأمورها ومحاولاته الدائمة لإسعادها كانت تؤكد ذلك .

قالت لنفسها يومها وهي تجفف دموع الندم « ما الفائدة من إدراكي ذلك الآن بعد أن قررنا الانفصال ؟ .. خير لي أن أرتب أموري على أساس الحياة وحيدة .. بعيدا عن خالد .. وهذا هو جزائي على إغراضى عن حب كبير وتهافتى على حب رخيص » ، وإن كانت قد حاولت أن تبرئ نفسها أمام ضميرها ، وتقنعه أنها لا تستحق هذا العقاب .. بأن ترجع هذه التصرفات لصغر سنها وقلة تجاربها ، ~~فجل~~ أصبحت تعتبر حياتها بدون « خالد » عقابا يوقع عليها ، فقد ظلت طوال أيام تحاول أن تبحث عن أى شئ يكبرها في الحياة مع خالد أو يزين لها البعد عنه .. عبثا .. فكلما حاولت تذكر بعض نقائصه أو إساءاته لم تجد .. على العكس كان كل ما تذكرته يزيد لها اقتناعا بنبله وكرم معاملته ... كم دللها ! .. وكما حاول استشفاف الأشياء التى تسعدها فيفاجئها بها .. والسهرات التى تحبها فيصحبها إليها .. والزهور التى تفضلها فيحملها لها ! وكانت هى تقابل كل ذلك منه ببرود .. وكما احتمل من سخافة تصرفاتها معه .. وكلما تذكرت ذلك ازداد علوا فى نظرها .. وازدادت حزنا للنهاية المؤسفة التى سينتهى إليها حبهما .. فقد أدركت أنها هى أيضا تحبه بكل نبضة فى قلبها الصغير .. ليس فقط بعد اكتشافها لخداع « فريد » .. بل من بداية حياتها معه .. عرفت ساعتها فقط لماذا تألمت لموافقته السريعة على الطلاق .. ولماذا كانت تنتظر بلهفة موعد زيارته لوالدتها أثناء مرضها .. ولماذا تناست تذكيره بموضوع طلاقهما بعد عودتها لمنزلها رغم إلحاح « فريد » .. السبب هو الحب ولا سواه .. لكن يبدو أن العناد والمكابرة قد أعميها فلم تستطع أن تدرك حقيقة عواطفها .

بعد تأكد « نوال » من مشاعرها تجاه « خالد » .. وأن حياتها بدونها ستكون عذابا متصلا .. أصبح أملها الجديد منحصرا فى محاولة استرجاع حبه لها .. وكان هذا ثالث أمل لها لكنه أول أمل

يقوم على الحقائق وليس على أوهام .. وآخر أمل تستطيع التعلق به .. فلو تحطم هو الآخر لتحطمت حياتها كلها ولم يعد لها ما تؤمل فيه ! من ثم أخذت تحاول جاهدة أن تظهر له حبها ورعايتها لأموره ، ورغبتها فى عودة الوئام بينهما .. لكنها لم تغلح فى ذلك قط .. فلم تتغير معاملته لها .. معاملة مشوبة بالركة لكن بتكلف وتحفظ ، كما ظل يعود إلى المنزل عتأخرا كل ليلة .. ويتجه إلى حجرته مباشرة ، متجاوزا حجرتها رغم رؤيته النور مضاء بها ، بل حدث يوما أن انتظرت عودته فى الصلاة .. فما أن رآها حتى بدا عليه الاهتمام وسألها عما إذا كانت مريضة حتى يستدعى طبيبا .. ولما نفت ذلك غادره اهتمامه وحيائها تحية المساء .. وذهب إلى حجرته .. ! أكثر ما كان يعذبها أنها لا تعرف بالضبط السبب فى عدم تجاوبه معها .. هل لم يفهم محاولاتها بعد ؟ .. أم فهمها لكنها جاءت بعد فوات الأوان .. بعد أن مات حبه لها أو بعد أن تعلق بحب آخر . .. لم يكن فى استطاعتها ترك التلميح لتصرح له بعدولها عن فكرة الطلاق مع الاعتذار عن تصرفاتها وليدة الطيش خشية أن يكون هو الذى أصبح متمسكا بالطلاق ..

فجأة بعد أسابيع من الانقطاع .. عاد « فريد » للاتصال بنوال تليفونيا أكثر من مرة فى اليوم الواحد .. وقد رفع من حرارة كلماته درجات .. لكنها كانت تبادل بقطع الاتصال بمجرد سماع صوته .. وأخيرا حضر بنفسه لمقابلتها بكل صفاقه .. ورغم دهشتها البالغة لتصرفه فقد قابلته ، لتطلب منه بكل برود ألا يعود لمضايقتها حيث هى تريد العيش بسلام مع زوجها الذى لم ولن تحب سواء طوال عمرها .. وعاد هو يتوسل وهى لا ترد .. فقد كانت تسأل نفسها بدهشة .. كيف أحبت يوما هذا الفتى المتافه « المسببب » شعره كالبنات ؟ .. وأخيرا خلع آخر قناع كان يغطى وجهه .. طلب منها أن تستخدم دلالها لدى زوجها ليمنحه الوظيفة الخالية بالمجلة والتي

أعلن عنها من أيام .. قالت فى ذهول :

— وهل تتصور أننى يمكن أن أفعل .

— لا تنسى أن حبى لك كان السبب فى انصرافى عن دراستى ،

فلا تستبعدى أن الجأ لتدمير من تسبب فى تدميرى .. فلماذا تظنين زوجك فاعلا إذا ما عرف بخيانة زوجته ربة الصون والعفاف ؟

أخرس .. تعلم جيدا أنه لم يكن بيننا سوى نظرات عبر

النوافذ ومحادثات بالتليفون ، ومقابلات لم تتعد أصابع اليد الواحدة فى الكازينو ..

— ما أعرفه شىء وما أستطيع قوله شىء آخر .. لستما فقط

اللذين تستطيعان تأليف القصص . بوسعى أنا أيضا أن أؤلف له

قصصا وروايات عن علاقات كانت بيننا .. لذا أنصحك أن تكونى

عاقلة ولن يكلفك الأمر أكثر من طلب بسيط ، وهو طبعاً يتمنى طلباك ! .

صرخت فيه : أخرج بره .. اقترب منها ليمسك بذراعها وهو يقول

بتوسل :

— ألا تستحق سنوات الحب الطويلة أن تنفذ لى هذا الأمر

الصغير وأعدك ..

فى هذه اللحظة دخل « خالد » الحجرة ليقول لفريد بكل برود :

— أظنك سمعت جيدا الهانم وهى تطردك من المنزل .. ماذا

تتأمل ؟ !

وخرج « فريد » ذليلا فى حين زعرت « نوال » .. فماذا سيظن

« خالد » بها ؟ .. أحست بالأرض تدور بها وكأن هذا آخر ما وعت

قبل أن يغمى عليها .

لم تكن « نوال » بحاجة لذكاء كبير لتتكهن بالفصل الأخير من

الرواية والذى حدث بعد إغمائها .. إذ ماذا يمكن أن يدل عليه

وجودها فى منزل أسرتها بعد أن دخل « خالد » غرفة الصالون فجأة

ليجدها مع « فريد » ؟ . قطع - عليها استرسال خواطرها دخول والدتها فما كادت تراها حتى سألتها :

— ماما .. ما الذى أتى بى إلى هنا .. ؟ هل طلقنى خالد ؟ ..

— طلقك ؟؟ .. كيف ؟ .. لكن غريبة - أنت اليوم - والحمد لله -

تتحدثين جيدا ولا تهذين . !

— أهذى ؟؟ ..

— نعم .. لك الآن ثلاثة أيام وحرارتك مرتفعة .. وطوال النهار تخطرئين .. من يوم أن أغمى عليك فى منزلك وقال الدكتور إنك تعانين من حمى ، خالد كان يريد إحضار ممرضة لتلازمك .. لكننى صممت أن أركع بنفسى .. ولذلك أحضرتك هنا لأنه لم يكن باستطاعتى ترك يوسف وحسين وحدهما ..

وتسأل بصوت أقرب للهمس :

— وهو .. ألم يحضر للسؤال عنى ؟

— كيف ذلك ؟ .. إنها أول مرة يتركك فيها اليوم لأمر هام .. إنه

يحضر كل صباح ليتولى كافة طلباتك من طعام لدواء - لكمادات ..

حيث إننى أسهر معك طوال الليل .

— غريبة اننى لم أشعر بشيء من ذلك إطلاقا .. لكنك تقولين

اننى كنت أهذى .. فماذا كنت أقول :

— كان كلامك غير مفهوم فى أغلبه .. أحيانا تقولين لى هذا أملى

الثالث .. وأحيانا تقولين أنا بريئة فلا تحكم بالظواهر ومرة تقولين

هذا الولد كذاب .. ودائما تقولين لم أحب سواك يا خالد .. لكن

ما معنى هذا الكلام .

— ليس له أى معنى .. كما قلت خطيرة - لكن - خالد - هل

سمعتنى وأنا أردد هذه الكلمات ؟

وقبل أن ترد يديق الجرس و .. يدخل « خالد » ، لتبدو على وجهه

الفرحة العارمة لشفاء « نوال » .. ولا يكاد يجلس بجوارها حتى

تبادره بقولها :

— أقسم لك ياخالد .. لم يكن بينى وبين فريد أى شىء .. قاطعها وهو يطرق رأسه :

— لقد سمعت حديثك معه .. سمعت أوله مصادفة أثناء دخولى لأخذ حقيبتي لسفريه عمل .. طبعا لم يكن يليق أن أسمع من وراء الباب لكنى اضطررت عندما سمعتك تصيحين ..

وصمت .. وراح ينظر إليها فى حين كان عدد من الأسئلة يتصارع داخل أعماقها .. لكنها أغلقت فمها دونها جميعا .. كانت تتساءل « ترى هل صدقنى حقا .. هل سمع حديثى عن أملى الثالث .. ؟ وهل فهم .. ؟ وإذا كان قد فهم فهل جاء هذا الفهم فى وقته .. ؟ أم فات الوقت .. ؟ ترى هل سيتحقق هذا الأمل .. ؟ هل سامحنى .. ؟ هل نسى فكرة الطلاق .. ؟ هل .. هل .. مازال يحببنى كما كان فى بدء زواجنا .. ؟ أم أن حبه قد فتر .. ؟ »

وبرغم أنها لم تتكلم .. فقد عرفت الرد على أسئلتها جميعا .. عندما كانت شفتاه فى طريقهما إلى فمها فتوقفتا قليلا بجوار أذنها لتهمسا فيها بصوت حنون :

— أحب أقولك يانوال .. أن أملك الثالث هو أملى الأول والأخير .



كتاب اليوم

افتتحة

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة :

طلعت الزهيري

العدد صفر ١٤٠٩ هـ

٢٨٧ أكتوبر ١٩٨٨ م

تشرين الاول

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوي ١٢ جنيه مصري

البريد الجوي

دول اتحاد البريد

الغربي والافريقي ٥ في دولار امريكي لوما يعادله

بقي دول العالم واوروبا

والامريكين واسيا واستراليا ٢ دولار امريكي لوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ اش الصحافة

القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

في الخارج

إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة
هولندا	٥ غلورين
باكستان	٣٥ روبية
سويسرا	٤ فرنك
اليونان	١٠٠ دراخمة
المنسى	٤٠ شلن
الدنمارك	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرون
الهند	٣٥٠ سنلا
كندا امريكا	٣٠٠ سنت
البرازيل	١٠٠ كرويزو
نيوزيلاندا	٣٥٠ سنكا
نورس انجوس	٤٠٠ سنت
استراليا	١٠٠ سنت

اسعار

كتاب اليوم

المغرب	١٥ درهم
لبنان	٣٥٠ ليرة
الأردن	٦٠٠ فلس
العراق	١٥٠٠ فلس
الكويت	٧٠٠ فلس
السعودية	٧ ريال
السودان	٣٠٠ كرش سوداني
تونس	١٤٠٠ مليما
الجزائر	١٧٥٠ سنتيما
سوريا	١٤٠٠ قس
العشبة	٦٠٠ سنت
البحرين	٨٥٠ فلس

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٨/٥٥٠٤

الترقيم الدولي ٢ - ٣٦٥ - ١٢٤ - ١٩٧٧ ISBN

الآت بلاسواق

المنظف السحري
الجاف
متعدد الأغراض

الاصقر



يزيل الأوساخ والبقع الشحمية بأمان
ويترك الأيدي .. نظيفة .. ناعمة .. معطرة ..

لأيدي الحرفيين - لغسيل الملابس النظيفة - لتنظيف
لتنظيف القيشاني والسيراميك - لتنظيف أجهزة البهو

إنتاج شركة الإسكندرية للزيوت والصابون

SBA Sami Belal

736
5m

Bibliotheca Alexandrina



0338093



مطبعة الأخبار